يوليان كارون

بريـــق العيـــون

ما الذي يخلصنا من العدم

ترجمة

لـوقـــا أســـعد نـــاروز

أخــوية الشــراكة والتحــرر

٢٠٢٠ ©

المقدمة

«**فَمَنْ هُوَ ٱلإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَٱبْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟**[1] كم هي قوية كلمات هذا المزمور اليوم، فبعد أن أصبحنا أكثر وعياً لعدميتنا وضعفنا وعجزنا، بسبب فيروس وضع العالم كله في أزمة! كم هو في الواقع عدد الذين تفاجئوا بداخلهم – عندما سيطر عليهم الخوف أو غياب المعني – بالرغبة في أن يقوم أحد برعايتهم حتى النهاية وأن يخلصهم من قبضة العدم الذي كان يهدد حياتهم!

"ما الذي يخلصنا من قبضة العدم؟" هذا هو السؤال الذي كان يجب أن يقود الرياضة الروحية السنوية لأخوية الشراكة والتحرر، أهم بادرة في حياة الأخوية فاذا أجبرتنا حالة الطوارئ الصحية التي أجبرتنا على التخلي عن هذه الرياضة الروحية ـ التي كانت ستعقد في شهر إبريل الماضي، عندما كنا جميعاً في حالة إغلاق كامل –، إلا أنها لم تلغي السؤال، بل أعطته أهمية أكثر في ضوء الأحداث الأخيرة. وبعد إرسال السؤال مقدمًا إلى جميع أولئك الذين كانوا سيشاركون، لتركيز الاهتمام على خبرتهم وإنضاج إسهامهم الشخصي، أدركوا في نفس الوقت أنه وثيق الصلة بخبرتهم الحياتية – مما أثار فيهم شعوراً فورياً بالامتنان – وكأنه عمل صداقة كبير. وهذا يسلط الضوء أيضًا على معنى كلمة الصداقة: فالأصدقاء يساعدون بعضهم البعض على عدم الخوف من الأسئلة، حتى من تلك الملزمة والمزعجة، والتي تجرحنا وتهز كياننا. إن وجودنا معًا لا يمكن أن يكون صداقة إذا نحينا جانباً تلك الأسئلة بطريقة أو بأخرى.

إذا تحدثنا عن "عدم" فذلك لأن علامات العدمية تظهر على وجود الإنسان المعاصر – أي وجودنا الشخصي والاجتماعي – بطريقة واضحة وطاغية، بدون ضجيج أو تصريحات معينة، ولكن ليس بدون تأثيرات مرئية. ونحن لا نلمح هنا إلى تيار ثقافي، بل إلى حالة وجودية. وهذا هو الوضع الذي يهمنا النظر فيه، ولو في سماته الجوهرية فقط، ليس حباً في التحليل أو الوصف، بل لشغف أولئك الذين يريدون اكتشاف طريقاً يسمح لكل واحد منا بالسير لتحقيق الذات وسط الظروف التي نعيشها، مهما كانت. ينقسم محتوى الكتاب إلى ستة فصول ويهدف إلى تحديد ملامح طريق نقدمه كإسهام للجميع في مسيرة بحثهم وتطلعاتهم لأنه مؤسس على خبرة وقصة حياة.

[1] مز 8.5.

الفصل الأول

العدمية كحالة وجودية

ما هي خصائص العدمية التي تسللت بشكل أو بآخر وبشكل واع إلى طريقتنا في التفكير والعيش؟

١) الشك في اتساق الواقع وإيجابية الحياة

فمن ناحية، تقدم العدمية نفسها على أنها شك في الاتساق النهائي للواقع: إذ أن كل شيء ينتهي الى لاشيء، حتى نحن أنفسنا." وكنتيجة لادراكنا للمظهر الزائل للأشياء، ينمو داخلنا إغراء كاذب يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الأشياء هي وهم ولا شيء".[2] من ناحية أخرى – المتصلة بالأولى – تقدم نفسها على أنها شكوك حول إيجابية الحياة، وإمكانية وجود معنى وفائدة من وجودنا، والتي تترجم عادة إلى تصور فراغ يهدد كل ما نقوم به يسبب شعوراً باليأس الخفي، حتى وسط الحياة المزدحمة والناجحة وجداول أعمال المليئة بالمواعيد والمشروعات المستقبلية.

يلمح فيلم مشهور من الثمانينيات، *القصة التي لا تنتهي*، إلى هذا الوضع بطريقة موحية وفعالة. هذا هو الحوار بين جمورك ، "خادم القوة الذي يختبئ وراء العدم" ، وأتريو، البطل الشاب المدعو لوقف العدم. «لقد فقد الناس الأمل. ونسيت أحلامها. وهكذا ينتشر العدم»، يقول الأول. فيسأل الثاني "ما هذا العدم؟". «إنه الفراغ الذي يحيط بنا. إن اليأس هو الذي يدمر العالم، وقد حرصت على مساعدته [...]. لأنه من السهل السيطرة على أولئك الذين لا يؤمنون بأي شيء. وهذه هي أأمن طريقة للفوز بالسلطة ".[3] في هذه الاستعارات والصور، يتم التعبير عن شيء من هذا الموقف الذي نشير إليه اليوم بكلمة "العدمية". إذ نستطيع جميعا إدراكه: "العدم الذي يتفشى" في الحياة ، "اليأس الذي يدمر" ، "الفراغ الذي يحيط بنا" ، الذي يصبح ظاهرة اجتماعية. ولعل حقيقة اضطرارنا للتوقف بسبب فيروس كورونا جعلتنا نفكر، كما لم يحدث لبعض الوقت، في تحديد هويتنا وكيف ومما نعيش ، وأي وعي لدينا عن أنفسنا والأشياء. كما يقول تولستوي: "سيكون كافياً أن يتوقف إنسان اليوم للحظة عن نشاطه ويتفكر، ويقيس احتياجات عقله وقلبه بظروف الوجود الحالية، لكي يدرك أن حياته كلها، وكل أفعاله في تناقض مستمر وصارخ مع ضميره وعقله وقلبه ".[4]

ها هي فتاة في المدرسة الثانوية أدركت ذلك وتوقف للتفكر في الأمر. تكتب لي: «خلال الأسبوع الأول من الحجر الصحي، أعتقد أنني عشت، مثل الكثيرين، لحظات من الضيق الشديد. ففكرة البقاء في المنزل بدون رؤية أصدقائي وصديقي وعدم استطاعتي الخروج بحرية أرعبتني. ثم أجريت سلسلة من المكالمات ساعدتني في الانطلاق من الجديد. على وجه الخصوص، مكالمة مع صديق لي الذي أراد التعمق فيما هو أبعد من ردي بـ "أنا بخير ، لكن ليس كثيرًا". بالحديث معه، أدركت أنني لم أطرح على نفسي بعض الأسئلة حتى الآن وتركت كل شيء ينزلق فوقي بسبب القليل من الخوف ومن عدم الرغبة في الوصول إلى إجابات غير مريحة. لكنني أدركت أنه من الغباء عدم طرح الأسئلة على نفسي، إذا لم أكن سعيدة. فأكثر ما يقلقني هو الصمت ، لأنه يقودني إلى التفكير ويضعني أمام أسئلتي. وحتى أتجنب الإجهاد في غالب الأحيان أدع الأفكار بكل أنواعها تغزو ذهني قبل ذهابي للنوم، حتى لا أحاسب نفسي، إلى أن تأتي لحظة النوم. إنني أقلق من الإجابة التي قد تكون كامنة في أسئلة معينة، وأخشى أن تجبرني على التعامل مع جوانب من نفسي لا أريد أن أعرفها أو التي تضعني في طريق شاق. وكما قال صديقي، إنني أفضل العيش في فقاعة مصنوعة من الابتسامات ، والضحك ، ومن لحظات الضيق والحزن خالية من الحياة وأصبحت معتمة. إنني أعيش في دوارة من العواطف ترفعني يوماً إلى أعلى وفي اليوم الآخر تسقطني أحلك الضيق:

---

[2] الأب لويجي جوساني ، *الرجل ومصيره* ، ماريتي ١٨٢٠ ، جنوة ١٩٩٩ ، ص. ١٣.

[3] القصة التي لا تنتهي (*Die unendliche Geschichte* ، RFT ١٩٨٤) ، إخراج سيناريو وولفغانغ بيترسن.

[4] تولستوي ، "عدم التصرف" ، في المرجع ، ***الصحوة الداخلية***، اجتماعات ، ساسولو ٢٠١٠.

فأشعر بالحماسة للوقت الذي أعاني فيه هذه المشاعر ، ثم أضعها بعد ذلك في درج "الخبرات الجميلة". لكنني أدرك أن هذا لا يكفيني، لأنني أريد أكثر من ذلك بكثير، فأنا أريد شيئًا يجب أن يكون كبيراً بالضرورة، لأنه – كما يقول Kierkegaard – "لا شيء محدود ولا حتى العالم كله يمكنه أن يشبع روح الإنسان التي تشعر بالحاجة إلى الأبدية ".منذ بعض الوقت، وصفت *مجلة آثار* Tracce العدمية التي نتحدث عنها على أنها "عدو خفي ، يصعب فهمه والإمساك به وفك رموزه لأنه لا يقدم نفسه دائمًا بسمات واضحة [...] ، ولكن في كثير من الأحيان يكون له بنية غير ملموسة لفراغ نريد التخلص منه" .[5] وأضيف بقولي بأنه غير محسوس ولكنه في نفس الوقت واقعي وملموس جداً. وقد فهم ذلك صديق جامعي وعبر عنه بالكلمات الآتية: " إن العدم متخفي ومتلون أكثر مما تخيلت، إنه العدم اليومي الصغير الذي غالبًا ما يهيمن على أيامي". في محاولة للتركيز قدر الإمكان على المشكلة – التي ربما لا يراها البعض أو يستمر في عدم رؤيتها – يمكننا القول: الشك في عدم اتساق الواقع وعدم الثقة في إمكانية المعنى والوفاء بالوجود متشابك وهم يدعمون بعضهم البعض في تلك العدمية التي تؤثر علينا جميعاً.

باختصار ، يمكن وصف الشكل الحالي للعدمية بأنه إحساس بالفراغ خارجنا (السياق الذي نعيش فيه، والذي يمكن ترجمته في بعض الأحيان إلى "فقاعة مصنوعة من الابتسامات والضحك ومن لحظات الضيق والحزن التي خالية تماماً من الحياة والشفافية ") وداخلنا (" أدرك أن هذا لا يكفيني لأني أريد المزيد ")؛ فالشعور بالفراغ الذي ينتج عنه ضعف علاقتنا بالواقع ومع الظروف ، التي تبدو في النهاية غير منطقية ، ولا تستحق الحصول على قبول حقيقي منا. هناك حالة من ***تخدر*** الأنا توقف انخراطنا فيما يحدث في الواقع، حتى عندما نكون عالقين في دوامة من الأنشطة المحمومة ؛ تلك الأنشطة التي توقفت فجأة ولفترة طويلة بسبب فيروس كورونا – وهكذا "أجبرنا" بطريقة أو بأخرى على التفكير في أين نحن سائرون، وما الذي نريد القيام به في حياتنا، وما الذي يمكن أن يدعمها فعلياً. ولم يتوقف هذا التسارع الجنوني، وربما أثناء *الإغلاق أيضاً*؛ فبالنسبة لكثيرين قام ذلك الاغلاق ببساطة بتغيير الشكل والطريقة ؛ بالتالي اكتشفنا، كما نقولها مع سي. إس. لويس أن "العدم قوي جداً: فهو قوي بما يكفي لسرقة أفضل سنوات الإنسان ليس بالخطايا الحلوة، ولكن *بالتقلب* الرهيب *للعقل* الذي يدور حل نفسه بدون معرفة السبب، سعياً لإشباع الفضول الضعيف لدرجة أنهم لا يعرفون سوى النصف ».[6] أفكر في المحاولات المختلفة التي جرت في هذا الوقت حتى لا أتوقف عند الأسئلة المزعجة للغاية، والتي تسعى إلى إشباع فوري من خلال دوامة من الاستدراجات. التخدر وتقلب العقل وكما يلاحظ أورويل في روايته النبوية «اللامبالاة» الصادر في ١٩٨٤، "لقد أدهشته أن ما يميز الحياة الحديثة حقًا لم يكن قسوتها ولا الشعور العام بعدم الأمان الذي نشعر به، بل هذا الفراغ وهذه اللامبالاة عديمة اللون."[7] إنها "لامبالاة عديمة اللون" تفسد الذات الداخلية وتحفر مسافة وخندق بيننا وما يحدث في الواقع: "لم يكن هناك فيما يحيط بي ... شعرت بالانجذاب نحوه" [8] يكتب دوستويفسكي. لذلك ليس هناك شيء يبدو أنه قادر حقاً على إلزام الأنا. فالعلاقات التي لدينا والأشياء التي نقوم بها أيضًا تثير ضيقنا، حتى تلك التي أثارت حماسنا لفترة من الوقت.

هذا هو الوجه الذي تتخذه العدمية اليوم: فالشعور بالإرهاق وغياب الحافز والطاقة وفقدان طعم الحياة، مرتبط ارتباطًا وثيقًا بغياب شيء يستحوذ على كياننا حقًا. «لقد تعاظمت الثروات، لكن تقزمت القوى ؛ إذ لم تعد هناك فكرة تجمع البشر حولها، فكل شيء أصبح هشاً وضعيفاً، وأصبح الجميع ضعفاء ومرهقين. لقد ضعفنا جميعًا! " [9]

---

[5] Perillo ، مقابلة مع C. Esposito ، "عدمية الباب المجاور" ، *Tracce-Litterae communionis* ، n. ١٠/٢٠١٩ ، ص. ١٢-١٨ . *Tracce-Litterae communionis* هي المجلة الشهرية الدولية لحركة الشراكة والتحرر.

[6] سي. إس. لويس ، *رسائل Berlicche* ، أوسكار موندادوري ، ميلان ١٩٩٨ ، ص. ٥١-٥٢. الكلمات المكتوبة بالخط المائل هي كلماتنا .

[7] أنظر. جي أورويل ، *١٩٨٤* ، أوسكار موندادوري ، ميلان ١٩٨٣ ، ص. ٩٧.

[8] دوستويفسكي ، *منكرات من تحت الأرض* ، موندادوري ، ميلان ٢٠١١ ، ص. ٧٠.

[9] دوستويفسكي ، *الأبله* ، فلترينيللي ، ميلان ٢٠١١ ، ص. ٤٧٦.

٢) غياب لمعنى على قدر مستوى حياتنا

في قصيدة كتبها عندما كان في السابعة عشرة من عمره، يعرب فيها شيزاري بافيزي عن حزنه لغياب معنى يتناسب مع تطلعات الحياة الإنسانية: «السير في الشوارع وحيدا / معذباً بلا توقف من الرعب / عند رؤية الإبداعات التي تُقتُ لها لزمن طويل / تتلاشى أمام عينيي ؛ / وعند الشعور بتلاشي الحماس والأمل ... كل شيء ... كل شيء داخل نفسي / والبقاء هكذا بدون حب ، / [...] / محكوماً علي بالحزن اليومي ».[10]

كتبت لي طالبة جامعية شابة منذ أشهر: «أدركت في الفترة الأخيرة، كما لم يحدث من قبل، أنني أعيش لحظات من العدم، لحظات يتميز فيها أفق حياتي بسقوط الرغبة وأنني أتلاشى، أعيش نصف حياة. فالعدم بداخلي يتكلم بشكل رقيق ويدفعني إلى إنقاذ نفسي: لتوفير طاقتي، لأن ما يستحق فعله هو ما أفكر به فقط حتى بدون إعتبار أي مقترحات أخرى ؛ للتوفير في علاقاتي، لأن مشاركة متاعبي مع الآخرين أمر لا يستحق العناء. باختصار، يقودني ذلك العدم إلى القيام بالحد الأدنى الضروري، ثم أجد نفسي قاحلة وغير سعيدة على نحو متزايد. حتى في هذه الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر ، يبدو أنني أعيش في جو يشبه جو القبور: فتجاه العديد من المناسبات الجميلة ، بدءًا من العلاقة غير المتوقعة مع الطلاب الجدد حتى تخرج أعظم الأصدقاء ، غالبًا ما أجد نفسي منغمسة في أفكاري وفي متاعبي. لقد أدركت، في الواقع، أنني تحت رحمة العدم، وشعور بالضيق لا أجد له تفسيراً ". ويشير مقطع من رسالة أخرى، تلقيتها مؤخرًا، إلى نفس الخبرة: «كنت في المنزل بدون عمل [بسبب العزلة التي فرضتها حالة الطوارئ الصحية] بدأت أختبر مباشرةً ما هو هذا العدم الذي تشير إليه. إذا لم يمتلئ هذا الوقت بشيء يبقى، إذن هو فارغ تماماً وأنا لا شيء ».

ولكن هذا ليس كل شيء. ففي الواقع، الخصائص التي تم تسليط الضوء عليها يصحبها شعور بالعجز عن تعديل النظام الذي تبنيناه ("النظام الغير ملموس للفراغ الذي نريد التخلص منه"، كما قلنا) ، لنستيقظ مرة أخرى، كما لو أن الجهود لم تكن كافية ولا حتى بعض المحفزات التي تصل إلينا من الخارج لتعيدنا إلى الوقوف على أقدامنا، وتغير نظرتنا عن أنفسنا وعن الأشياء، وتجعلنا ندرك حجم الواقع لنخلص أنفسنا من الفراغ الذي نشعر به.

إنها خبرة مؤلمة تجمع العديد من معاصرينا. "في الحقيقة، لا يوجد شيء يمكن أن يمنع العودة الأقرب دائمًا لتلك اللحظات التي تجمع بين وحدتك المطلقة، وإدراكك للفراغ الكوني والشعور بأن وجودك يقترب من كارثة مؤلمة ونهائية حتى تغرق في حالة معاناة حقيقية ".[11] لهذا السبب، يؤكد البابا فرنسيس أن "التهديد الخطير [...] هو فقدان الإحساس بالحياة".[12]

نحن بحاجة إلى شيء قادر على إيقاظ كياننا كله، والذي يعيد انفتاحنا على استفزاز الواقع والظروف حتى نتمكن من أن "نعيش الواقع بشكل عميق ودائم".[13] ندرك أن مجرد حدوث الأشياء ليس كافياً، إذ نجد أنفسنا في وضع أولئك الذين يحاولون الصعود من جديد إلى منحدر والانزلاق مرة أخرى، والعودة إلى نقطة البداية. ونسقط من جديد في عدمنا. لا نرى ما الذي يمكنه مواجهة العدم ولا نعي من أين نبدأ. لذلك نحن في حالة ضيق عميق مع أنفسنا. إنه الشعور بالضيق الذي تعرفنا عليه في الشباب – ولكنه يشمل الجميع – كما قال المحلل النفسي Umberto Galimberti: "الشباب ليسوا على ما يرام، لكنهم لا يفهمون لماذا".[14]

---

10 بافيزي ، "إلى ماريو ستوراني" ، مونزا - تورينو ، ١٣ يناير ١٩٢٦.

11 M. Houellebecq ، *امتداد مجال النضال* ، بومبياني ، ميلان ٢٠٠٧ ، ص. ١٥.

12 فرنسيس ، *الجمهور العام* ، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٩.

13 الأب جوساني ، *الحس الديني*، ريتسولي ، ميلان ٢٠١٠ ، ص. ١٥٠.

14 جاليمبرتي ، "١٨ عامًا من المنزل: هناك حاجة إلى خدمة مدنية لمدة 12 شهرًا" ، مقابلة بواسطة S. Lorenzetto ، *كورييري ديلا سيرا* ، ١٥ سبتمبر ٢٠١٩.

كتب لي صديق شاب: "هذه الجملة التي كتبها جاليمبرتي مزقت قلبي لأنها تصف حياتي تماماً في هذه الفترة. منذ شهور وأنا أشعر في داخلي بنوع من عدم الرضا والحزن في كل ما أقوم به. أرى أن الشعور بعدم الرضا هذا موجود في كل مكان، كما لو كان تحت قناع من الابتسامات والأشياء الكثيرة التي يجب القيام به يسود العدم ويغيب المعنى والفرح الحقيقيين. وعندما يغيب المعنى يبقى الواجب فقط ، وهو واجب لا نفع منه، لأنه يدفعني أكثر نحو القاع. ربما هذه هي العدمية التي تخبرنا بها كثيراً. إنها مشكلة تتعلق بوجودي. في الواقع ، يبدو الأمر كما لو أن الحياة أصبحت الآن أقل حياة. والدليل الأول على ذلك هو أن كل شيء الذي لا يسير وفقًا لخططي يصبح صخرة كبيرة تسقطني إلى القاع. يكفي شيء صغير لا يسير كما أريد حتى أنهار وأستسلم واترك نفسي في مهب الريح.. فأمام الواقع أقف راضخاً وحزيناً. وعلى الرغم من الأقنعة ومحاولة التظاهر بأن كل شيء على ما يرام والاجتهاد لمواصلة الحياة، أدرك في أعماقي وأمام كل الأشياء التي تحدث لي والتي أراها بأنني حزين، لكنني لا أفهم لماذا. قبل بضع سنوات فقط كان العكس هو الصحيح ، وكانت الصعوبات كمنصات انطلاق، لا صخور كبيرة. والآن الاحتياج الذي في قلبي أحاول عدم النظر إليه وأتظاهر أنه غير موجود وأتظاهر أنني بخير وأنه ليس هناك أي شيء يثير دهشتي بعد الآن. أحتاج إلى شيء عظيم ينتصر على العدم الذي وقعت فيه. أريد أن أفهم ما يحدث لي أثناء حياتي اليومية، لأنني لا أريد البقاء في هذا العدم".

لقد تركنا أنفسنا للتيار بتركيزنا على أشياء تافهة وبسيطة ، لملء وقت الذي يمر بطريقة أو بأخرى. "نحن لا نختار العدم، بل نستسلم له" ، [15] لأنه، كما قال مالرو، "لا يوجد شيء مثالي يمكننا أن نضحي من أجله" ، والذي يمكننا أن نلزم أنفسنا به حقًا ، "لأننا نعرف الكذب عن الجميع، ونحن لا نعرف ما هي الحقيقة". [16]

باختصار ، لم تعد العدمية الحالية هي تلك التي كانت في الماضي، والتي كانت تنتقد القيم بطريقة بطولية ؛ فهي اليوم بلا طموح: إذ لها وجه لحياة "طبيعية"، ولكن مع وجود دودة بداخلها، لأنه لا يوجد شيء يستحق العناء، لا شيء يجذب، لا شيء يستحوذ على كياننا حقًا. إنها عدمية نعيشها بشكل سلبي، فهي تخترق جلدنا وتؤدي بنا إلى إرهاق الرغبة، مثل عداء الماراثون الذي استنفذ طاقته بعد لحظة الانطلاق. تحدث أوجستو ديل نوتشه عن "عدمية مرحة" ، "بدون قلق" تود إغراق "قلق القلب في المتع السطحية *الذي تحدث عنه القديس أغسطينوس* ". [17]

٣) الحرية أمام بديل

في هذا السياق، تواجه حريتنا بديلاً. دعونا نسأل أنفسنا: هل يمكن أن نكتفي بمشاهدة عرض العدم الذي يتقدم في حياتنا بلا مبالاة، كما يكتب Houellebecq؟ "أقف في تقاطع المكان والزمان، / وأشاهد بعين باردة تقدم العدم." [18]

يمكن للحرية أيضًا أن تقرر عدم الرؤية والهروب: «حسنا ، نحن تحت رحمة العدم. *لقد اختفى*، من عساه يهتم!»، ونخدع أنفسنا بحل المشكلة بمجرد النظر بعيدًا عنها. نستطيع القيام بذلك على أي حال. يقول إدجار مورين، أحد أشهر المفكرين الأوروبيين الأحياء بملاحظة دقيقة: "أفهم أن مصدر الأخطاء والأوهام هو إخفاء الحقائق التي تزعجنا بتخديرهما وإزالتها من أذهاننا". [19] كما أن نقول، اذهبي بعيداً أيتها السنة، اذهب بعيداً أيها الألم؛ فالعين لا ترى والقلب لا يتألم. حاولنا أن نفعل كل شيء في زمن فيروس كورونا. لو كان أيوب قد عاش في عصرنا، لقال له صديقه زوفر، لتعزيته على المصائب التي عانى منها: «في لحظات العزلة، يجب تشتيت انتباهنا! ليس هناك مسكن أفضل من المتعة! ».

---

15 فابرو، *كتاب الوجود والحرية المتجولة* ، Piemme ، AL) Casale Monferrato) ٢٠٠٠ ، ص. ٢٨.

16 *مالرو* ، *La tentation de l'Occident* ، Bernard Grasset ، Paris ١٩٢٦ ، ص ٢١٦ ؛ ترجمتنا.

17 ديل نوتشه ، *رسالة إلى رودولفو كوادريلي* ، غير منشورة ، ١٩٨٤. "العدمية الحالية هي العدمية المرحة، بلا قلق (ربما يمكننا تعريفها كذلك لقمع قلق القلب الأغسطيني)".

18 M. Houellebecq ، *Cahier* ، سفينة تيسيوس ، ميلان ٢٠١٩ ، ص. ٢٣.

19 E. Morin ، *تعليم العيش .بيان لتغيير التعليم* ، رافاييلو كورتينا ، ميلان ٢٠١٥ ، ص. ١٤.

ولكنها الحقيقة؟ هل يمكننا النجاح حقًا في تحقيق الهدف التي ينسبه ديل نوتشه إلى العدمية المرحة، أي قمع قلق القلب، أو بكلمات مورين، القضاء على تقدم العدم من أذهاننا؟ يمكن للجميع النظر إلى خبرتهم الخاصة والحكم. هل يمكننا حقًا حل المشكلة بهذه الطريقة، فقط عن طريق تغيير وجهة نظرنا؟ هناك أولئك الذين، مثل أندريا موميتيو، لديهم صدق الاعتراف بأن هذا المسار غير عملي: "هل تعيش يوماً شاقاً؟ لا تقلق، أرسل لك واحدة من تلك النكات الغبية التي نستمر في إرسالها عبر WhatsApp، حتى لو لم أجدها مضحكة على الإطلاق، حتى إذا شعرت بسخرية تحاول انتزاع ابتسامة من الآخرين بينما كل ما أريد القيام به هو مشاهدة Hospital Central [مسلسل تلفزيوني]. أصور فيديو مع زميلتي أندريا ليبا وأفكر في صور gif السخيفة لنشرها على منصة Instagram ثم أنهار بعد ذلك لأنني لا أؤمن بأي شيء. أريد أن أعرف أن عالمي هنا ، لكن الأمر ليس كذلك. [...] ليس لدي أي شيء أقوله، باستثناء أنني يائسة، وأنني أجد صعوبة في فهم وجود الكثير من الفرح في الجو والكثير من التفاؤل، والعديد من الطلبات للتواصل عبر منصة Zoom ، والعديد من الرسائل، والعديد من التصفيق والعديد من الأشياء التافهة. [...] ولم يتبقى لي سوى تعلم العيش مع هذا الغضب. هذا الغضب الذي يغزوني ولا أدري على من ألقي اللوم ».[20] وبطريقة صادقة بنفس القدر، تعترف سول أجيري بأنها أعدت وصفة تعترف بعدم اتساقها: «وها أنا أحكي تفاهات [...] لأرى إذا ما أثارت إحداها ابتسامة على وجه عابس. فالضحك، مرة أخرى، هو ترياق لواقع مظلم للغاية. فالضحكة، التي يحتقرها الآخرين في كثير من الأحيان، هو علاجي الدائم».[21]

الحقيقة هي أننا نريد أن نعيش بطريقة مركزة، وكما تكتب سيمون فيل ، "لا أحد [...] راضٍ بمجرد العيش [...]. نريد أن نعيش من أجل شيء ما».[22] ويحذرنا دوستويفسكي مرة أخرى بقوله: "يمكنك أن تخطئ في الأفكار، ولكن لا يمكنك أن تخطئ في قلبك أو تضل ضميرك عن طريق الخطأ."[23] إذا لم يكن من الممكن أن نخطيء في القلب، فماذا يعني ذلك؟ يمكننا أيضًا أن نقرر ألا نأخذ ضيقنا في الاعتبار بإزالته أي بإزالة مشكلة ذلك العدم الذي يفسد أيامنا. ولكن ، هنا المفاجأة ، يبقى الألم. وكيف! يمكننا تغطية اضطراب القلب ، وليس قمعه ؛ ويمكننا إخفاء شعورنا بعدم الرضا، لكن ليس التخلص منه. هناك شيء فينا لا يمكن إسكاته في نهاية الأمر. فعلى الرغم من الأقنعة التي نرتديها ونحاول التظاهر بعدم حدوث أي شيء ، فإننا حزينون وكل شيء يشبه الصخرة التي تسحقنا. وهو أمر يختلف تماما عن إبعاد سنة أو إبعاد الألم بمجرد القول! فالألم يظل قائماً. وهناك شيء فينا يقاوم بطريقة محسوسة. "كان هناك شيء لم يمت في داخلي في أعماق قلبي وضميري: شيء لا يريد أن يموت، والذي ظهر في شكل قلق شديد".[24]

ماذا يقاوم؟ يكتب هويلبيك في الرسالة إلى برنارد هنري ليفي التي ذكرتُها في مناسبات أخرى ، والتي تبدو لي كشهادة مثالية على الدينامية الانسانية التي نصفها: «من المؤلم لي أن أعترف بأنني شعرت أكثر فأكثر *بالرغبة في أن أكون محبوباً* . [...] فالقليل من التفكير كان يقنعني [...] في كل مرة بسخافة هذا الحلم [...]. لكن التأمل في ذلك لم يستطع أن يفعل شيئاً لي، إذ استمرت الرغبة ولا بد لي من الاعتراف بأنها لا تزال قائمة حتى الآن ».[25] لذا دعونا لا نخدع أنفسنا، ولا ندع أحد أن يخدعنا بقوله أنه يكفي البحث في مكان آخر "لحل" مشكلة العيش: فالعدمية تجد نقطة مقاومة في أنفسنا قبل أي كل شيء. ونحتاج إلى الانتباه إليها.

---

20 A. Momoitio، *بوبليكو*، ١٠ أبريل ٢٠٢٠.

21 S. Aguirre ، *El Español* ، ٣ أبريل ٢٠٢٠.

22 سيمون فيل، *محبة الله* ، بورلا ، روما ١٩٧٩ ، ص. ٧٨.

23 Dostoevskij ، *رسائل حول الإبداع* ، Feltrinelli ، ميلانو ١٩٩١ ، ص. ٥٥.

24 F. Dostoevskij ، *مذكرات من تحت الأرض* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٤٧.

25 M. Houellebecq ، BH. ليفي ، *الأعداء العامين* ، بومبياني ، ميلانو ٢٠٠٩ ، ص. ١٠.

ففي مواجهة تحدي فيروس كورونا، يجب على إيزابيل كواكسيه الاعتراف بعجزها: «إذ أن كل ما اعتبرناه مسلمات لم يعد موجوداً. وما ينفتح أمامنا هو ضباب كثيف خالٍ من النور. أدرك أنني لا أستطيع أن أعيش هذه الساعة وهذه الدقائق التي أصبحت أبدية ».[26] تدرك المخرجة الإسبانية أنها لا تستطيع أن تقف أمام ما يحدث لها ولنا، وأشعرها هذا بالضيق الذي يحول الدقائق التي تمر إلى كابوس يبدو بلا نهاية. ومن جانبها ، تصف سول أجيري خبرة العزلة: «خلال الأسبوع الأول من الحجر الصحي المنزلي كنت خائفة. ليس من الفيروس فقط، ولكن لاحتمال أن يأتي الحزن لزيارتي أيضاً. إنني أشير إلى ذلك الحزن الدائم الذي لا يطاق الذي يحجب الرؤية والحياة. لم أعترف لأحد لأنني أعرف ما كان سيخبروني به: كوني سعيدة، أعدي المشاريع وابحثي عن حلول ».[27]

٤) عدم انفصام الرغبة

ما الذي يتضح من ردود الفعل هذه ومن هذه الاعترافات الصادقة والمكتشفة؟ ديمومة تلك البنية الأصلية للأنا الانسانية التي تنتمي إليها الرغبة في تحقيق ذاتها، ومحبة الآخرين ومحبة الآخرين لها، ومعرفة المعنى الشامل للذات وللواقع. من المدهش أن نراها تظهر في شخص مثل Houellebecq. ليس لدينا السيطرة على الاتجاه النهائي لرغبتنا، والحافز الذي يعبر عمق كياننا. وهذا ما عبر عنه القديس أغسطينوس بأسلوبه الذي لا ينسى: *"لقد خلقتنا من أجلك ولن تستريح قلوبنا إلا فيك"*.[28] وهذا النسيج الأصلي للقلب الذي يعلن عن نفسه، بعدم إمكانية اختزاله، ربما تحت أسماء أخرى، وتحديداً في عمق العدمية، الذي أصبح الآن عادة ثقافية وظاهرة اجتماعية.

إذن ما هي الخطوة الأولى لمن لا يريد العيش هارباً من مشكلة لا يعرف لها حلاً؟ الإدراك بأنه يوجد في هذا السياق الخالي من المعنى، شيء غير قابل للقمع أو الانفصام، يقاوم العدمية وكل لامبالاة عقلانية. ماذا يقاوم؟ إن ذاتي غير قابلة للاختزال.

إذا انتبهت، سأدرك بالضرورة استمرار بنية ذاتي الأصلية، رغم معاناتها من فراغ المعنى الذي يغمرني، والذي أصبح منذ بعض الوقت "مناخًا" ، "ثقافة". فكلما انتشر العدم، كلما ظهرت على السطح جراحات وتطلعات إنسانيتنا بكل قوتها، ولم تعد مغطاة بالجدالات الثقافية والمشروعات الجماعية، التي لم تعد لديها أي تأثير: إنها توقعات وجروح تظهر في وجههم الأصلي، بدون الاستعانة بكثير من الخطب. قال دوستويفسكي: "كان هناك شيء لم يمت في داخلي". ويلاحظ تشيسترتون: "فقط عندما تتعرضون لغرق حقيقي، تبحثون جدياً عما تحتاجونه."[29]

مع تفشي وباء فيروس كورونا رأيناه بشكل مفاجئ: وبعد استيقاظنا من سباتنا العميق، ظهرت الأسئلة. «كنا في عصر – كما أكد موريتسيو ماجياني في مقابلة أجرتها معه مجلة آثار *Tracce* – بدا لنا أنه انتهى هناك. حيث لم يكن هناك شيء يمكن أن يحدث ، فقد كان لكل شيء منطقه الخاص الغير قابل للنقد. لم يكن ممكناً نقد النظام. [...] وبدلاً من ذلك ، سببت هزة أرضية في تشويه هذا الامتداد الثابت وجعلت منظره مزعجًا ». ما هي أول نتيجة لهذا الزلزال؟ الأسئلة. "يجب علينا طرح الأسئلة على أنفسنا، لأنها تضعنا في مكان أكثر رحابة، وتزيل قضبان السجن التي احتجزنا أنفسنا فيه. [...] ففي حالة الاضطرابات والفوضى التي نحن فينا، يمكننا أن نحتكم إلى العقل الذي يميز البالغين. كيف؟ فقط بالسؤال. بطرح الأسئلة ". فأمام الأسئلة تنحسر "العجرفة والكبرياء"[30] الذي يرافقنا في غالب الأحيان.

---

26 I. Coixet ، *ABC* ، ٣١ مارس ٢٠٢٠.

27 S. Aguirre ، *El Español* ، ١٠ أبريل ٢٠٢٠.

28 القديس أغسطينوس ، *اعترافات* 1 ، 1. "لقد خلقتنا من أجلك ولن تستريح قلوبنا إلا فيك."

29 جي. ك. تشيسترتون ، *مغامرات رجل حي* ، مونتادوري ، ميلانو ١٩٨١ ، ص. ٦٢.

30 ماجياني ، " تغيير الحياة " ، مقابلة مع أليساندرا ستوبا ، *Tracce-Litterae communionis* ، n. ٥/٢٠٢٠، ص. ١٥-١٦.

وأمام تحدى ظروف تهز توازننا *تفتح الأسئلة شرخاً في جدار المنطقة المريحة* التي لجأنا إليها. لقد انهارت الفقاعة: تقول نوريا لاباري: "لقد عشنا فترة طويلة جداً مخدرين لأننا جزء من نظام خاطئ في أسسه في أغلب الأحيان".[31] لقد تحققنا بطريقة مباشرة مما أكده الأب جوساني في الفصل العاشر من *كتاب الحس الديني*: "الشخص الذي لم يعيش تأثير الواقع عليه، لأنه، على سبيل المثال، لم يبذل سوى القليل من الجهد، سيقل إحساسه بضميره، وسيقل إدراكه بطاقته وبحيوية عقله".[32] هناك أوقات عندما يصدمنا فيها الواقع بقوة لدرجة أنه من الصعب جداً تخفيف الصدمة أو التهرب أو تجاهل استفزازه. لأن ما حدث قد أيقظ انتباهنا – بمساعدة حريتنا – وأعاد عقولنا إلى العمل بإطلاق الأسئلة ذات المعنى والمعبرة عن طبيعته. إنني أتحدث عن الحاجة الملحة للمعنى التي تشكلنا وأن تأثير الواقع العاري والفج – الذي قبلناه – قد ظهر إلى السطح بطريقة قوية. وبهذا المعنى تحدثنا عن "صحوة الانسانية".[33]

٥) صرخة فيها الجواب

كلما تقدمت العدمية، أصبحت الحياة لا يطاق وبلا معنى وازداد الشعور بالرغبة غير القابلة للتدمير، في أن نكون محبوبين. إن هذا ما حدث "للابن الضال" [34] التي يتحدث عنها الإنجيل: كلما سقط إلى القاع، زاد في داخله الحنين لوالده بطريقه مدهشه. ولكن حتى من يعتقد أن ليس لديه أب يدرك أن الرغبة في أن يكون محبوباً تظل حية، ولا يمكن اختزالها، كما هو موثق في رسالة Houellebecq إلى برنارد هنري ليفي. إن هذه الرغبة لا تغيب ولا تنطفيء. «إن عصرنا لا يثق في الكلمات ويهرب من العقائد. ومع ذلك، فهو يعرف معنى الرغبة ".[35] ويلاحظ تشيكوف في هذا الصدد، أن الرغبة هي ما يجب النظر إلي لفهم من يقف أمامنا: "في الماضي عندما كانت تأتيني الرغبة لفهم شخص ما، أو لفهم نفسي، لم أكن أتفحص الأفعال [كما نميل لفعل ذلك في أغلب الأحيان، خاصة تجاه أنفسنا: بغضب أخلاقي، فنحجب بسهولة نظرتنا إلى أخطائنا، لنستطيع إدانة أنفسنا] التي يتعقد فيها كل شيء، بل الرغبات ».[36] وهو ما يفعله يسوع: ما الذي يراه في المرأة السامرية؟ رغبتها. إنه يخاطب عطش تلك المرأة: "عندي ماء جديد ومختلف، الماء الوحيد الذي يروي عطشك."[37] بهذا المعنى، يختم تشيكوف بقوله: "قل لي ما ترغب فيه، وأنا سأقول لك من أنت."[38]

ترسم رغبتنا، أي ما نريده بصدق وعمق، ملامح الوجه النهائي لأنفسنا. قال الأب جوساني: «أعتقد أن ذكري المستمر للرغبة، التي تأتيني من خبرة حياتي، [...] هي أحد الأشياء التي تجعل ما أقول أكثر لطافة [أكثر تشويقاً]، لأنه من الواضح أنه شيء إنساني، ولكنه الشيء الذي يحظى بأقل اعتراف من جانب الجميع ».[39] ففي الواقع، يود الكثيرون خنقها، والنظر في اتجاه آخر ودوسها. كيف يمكن العيش في هذا الوضع؟ من أين نبدأ في استعادة الحياة التي نخاطر بفقدها؟ يعبر هذا السؤال عن إلحاح وجودي، فهو مثل شوكة في الجسد. بسبب عدم قابلية اختزال الرغبة، التي تقاوم على الرغم من انتشار العدم الذي يجعل الحياة مأساوية ويزيد من حدة السؤال ونحن أمام مفترق طرق: إما الرضوخ بتوجيه انتباهنا إلى مكان آخر بالتظاهر بأن كل شيء على ما يرام ونخدع أنفسنا، أو إتباع حاجة القلب الملحة التي لا يمكن لأحد إطفائها، بأن نعلن رغبتنا بالصراخ.

---

31 N. Labari ، *El País* ، ١٨ مارس ٢٠٢٠.

32 الأب جوساني، *الحس الديني*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٩.

33 أنظر. الأب يوليان كارون، صحوة الانسانية، *تأملات في زمن يفقد التوازن* ، بور، ميلانو ٢٠٢٠.

34 لو ١٥: ١١-٣٢.

35 E. Varden ، *العزلة المحطمة. في الذاكرة المسيحية*، Qiqajon - مجتمع بوسيه، Bi) Magnano) ٢٠١٩، ص. ١٤٣.

36 A. Čechov ، "قصة مملة" في Id. ، *Racconti* ، *Einaudi* ، Turin ١٩٧٤ ، ص ٢٠١.

37 أنظر يو ٤: ٤ - ٤٢

38 A. Čechov ، "قصة مملة" في Id. ، *Racconti* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٢٠١.

39 أخوة الشراكة والتحرر (FCL) ، *التوثيق السمع بصري*، يوم التأمل للمتزوجين ، ميلانو ، ٢٣ يناير ١٩٧٧.

ويمكننا التعرف على الواقع، بدءًا من ضيقنا، ونصرخ معبرين عن عطشنا لمعنى شامل، ورضاء كامل. ولكن ... هل يعقل أن نصرخ إذا لم يكن هناك شيء في النهاية؟ في بعض الأحيان نجد أنفسنا محبطين ومتعبين من الصراخ. في أوقات أخرى يسود الشك مما يجعل الصراخ أمراً يستحق العناء. إن سبب هذا الإحباط وهذا الشك هو أننا نسلّم بوجود صرخة قلب وتلك الرغبة التي تقاوم أي عدمية. لكن وجود الصراخ والسؤال والرغبة هو أقل المسلمات وضوحاً. فبمجرد أن نفكر فيه، نبدأ في التعجب من وجوده. والآن ، ماذا يعني وجود الصراخ؟ إذا كان هناك صرخة ، فهناك إجابة. يصعب علينا أحيانًا فهم مثل هذا الإثبات وقبوله. والسبب هو ما قيل: بأننا نأخذ الصرخة كأمرا مسلماً به. عند استخدامنا للعقل حتى النهاية، ووفقًا لما ينبثق من الخبرة، يحدد الأب جوساني قانونًا دائمًا: " إن التأكيد على وجود الجواب" مشار إليه السؤال ذاته.[40] ورغم غموض الجواب إلا أنه موجود. إن الجواب "موجود بالفعل في السؤال" [41] فهو مشار إليه في السؤال (كما لاحظ مادجاني في هذا الاتجاه، في المقابلة المذكورة) في الواقع، يواصل الأب جوساني بقوله، "أننا نقمع السؤال إذا لم نعترف بوجود إجابة".[42] إن أنا كل منا "هي الجوع والعطش والرغبة الجامحة إلى شيء نهائي يلوح في الأفق، ولكنه يتجاوزه دائمًا ".[43] إن طلب المعنى والحب وتحقيق الذات هو تأكيد ضمني "لإجابة نهائية *تتجاوز* الطرق الوجودية المختبرة"، لكنها موجودة. لماذا أعرف أنه هو موجود؟ لأن – أكرر – وجودها متضمن في ديناميكيتي كشخص وفي البنية الوجودية لإنسانيتي. "إذا تم القضاء على فرضية" ما بعد "، فسوف تختنق هذه الاحتياجات بشكل غير طبيعي."[44]

إن طلبنا لمعنى شامل وتفسير كامل، يشكل عقلنا، وهو أسمى تعبير الأسمى له. إن طرح السؤال ذاته "يجبرنا" على التأكيد بوجود الجواب، حتى أبعد من أفق ما نستطيع قياسه. «لا يمكن للإنسان العثور على هذا التفسير [العقل والأنا] في أفق خبرته الحياتية [...]. إذا أردنا خلاص العقل، أي إذا أردنا أن نكون متسقين مع هذه الطاقة التي تحدد من نحن، وإذا أردنا عدم إنكارها، لأجبرتن ديناميكيتها الخاصة على التأكيد على أن الاجابة الشاملة *تتجاوز* أفق حياتنا. »[45] إنها لا تطابق مع أي شيء يمكنني إدراكه، ولا أعرف ما هي ولكنني أعرف أنها موجودة. وإلا ما كان هناك صرخة، ولا إمكانية تفسيرنا لوجود السؤال. عندما نلغي مستوى الإمكانية، التي هي نسيج العقل نفسه، وعندما نقول، بسبب صعوبة تأكيد الإجابة، لعدم قابليتها للاختزال في أفق ما يمكن إدراكه: "إنه ليس هناك، وليس من الممكن أن يكون موجوداً"، ننكر العقل في جوهره، نحط من ديناميكيته الحيوية. إذا وجدت نفسي ضائعًا في غابة ، اصرخ "ساعدوني!" سيكون أكثر الأفعال معقولية ومنطقية. لكن الصراخ يتضمن احتمالية سماع شخص ما إلى صراخي. في الواقع، مهما كانت بعيدة، لا يمكنني أبدًا استبعاد احتمال أن يستمع لي شخص آخر – وهو احتمال يشير إلى وجود الآخرين –. وإلا أصبح الصراخ أمراً عبثياً. إن عدم الاعتراف بوجود الجواب، بالمعنى المذكور، يعني إنكار السؤال – الذي هو موجود – وإنكار ولع العقل وخيانة جموح الرغبة. هنا، هذه "اللاعقلانية" وهذا "اليأس"، [46] التي تغري بقوة الإنسان المعاصر، أي كل واحد منا، بسبب الصعوبات التي يجدها في مسيرة حياته.

---

40 لويجي جوساني، *الحس الديني* ، مرجع سابق. استشهد، ص. ٧٦.

41 مادجياني ، " تغيير الحياة" ، مرجع سابق. استشهد . ، ص. ١٥

42 الأب جوساني، *الحس الديني* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٧٥.

43 المرجع *السابق*، ص. ٦٦.

44 المرجع *السابق*، ص. ١٦٠.

45 المرجع *السابق*، ص. ١٦٢. وبعد ذلك بقليل، يواصل الأب جوساني على نفس الصفحة: «إن قمة انتصار العقل هو إدراك وجود كائن مجهول لا يمكن الوصول إليه، وتتجه إليه كل تحركات الإنسان لأنه وجوده يتوقف أيضاً على ذلك الكائن المجهول. إنها فكرة *السر* ".

46 انظر المرجع السابق. الصفحات ٩٨ - ١٠٠

٦) "أنت" الذي يحتضن الصراخ

إن الصرخة – كتعبير عن حاجة العقل الملحة إلى معنى، والرغبة في إشباع احتياج القلب – تنتمي إلى طبيعة الإنسان ؛ ويمكن تخفيفها أو إضعافها أو إيقافها ولكن لا يمكن اقتلاعها، سواء بأنفسنا أو من قبل الآخرين ؛ فليس في وسعنا القيام بذلك. فهي "أعظم علامة العظمة والنبل نراها في الطبيعة الانسانية"، [47] كما يكتب ليوباردي. من المؤكد أننا نميل بطرق مختلفة إلى عدم أخذها في الاعتبار، وكثيراً ما نرى مدى صعوبة الانفتاح والبقاء مخلصين لها إلى أقصى حد. ففي لحظات معينة من *الإغلاق*، كما تخبرنا شهادة الكثيرين، شعرنا بظهورها بمزيد من الوضوح، وبلا هوادة. وفي لحظات أخرى، تشبه الجوع الذي يميل إلى التراجع بسبب صعوبة العثور على الطعام المشبع أو كبحث يتلاشى لأنه لا يرى أدلة على ما يبحث عنه. في الواقع، متى يستيقظ فينا السؤال بمعناه الكامل؟ عندما نجد أمامنا حضوراً يستجيب وحضوراً يلبي احتياجنا للمعنى الشامل. إذن، نحن لا نجهد أنفسنا لنتخيل كيف سترتفع صرخة بارتيماوس الأعمى العالية ولا يمكن كبحها عندما علم باقتراب إنسان سمع أنه يجيب على السؤال العميق لحياة البشر. «وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ، كَانَ بَارْتِيمَاوُسُ الأَعْمَى ابْنُ تِيمَاوُسَ جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. الطريق. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ، ابْتَدَأَ يَصْرُخُ [إنه يصرخ أمام أحدهم ؛ وربما مر الكثير من الناس بجانب بارتيماوس، لكن عندما سمع عن ذلك الرجل، له اسم ولقب معينين، بدأ يصرخ:] "يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!" فَانْتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لِيَسْكُتَ، فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيراً: "يَا ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!". فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ: "أَنْ يُنَادَى". فَنَادَوُا الأَعْمَى قَائِلِينَ لَهُ: "ثِقْ! قُمْ! هُوَذَا يُنَادِيكَ"! ". فَطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إِلَى يَسُوعَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ لَكَ؟" [48] ومنذ ذلك الحين، منذ دخول يسوع في التاريخ، هناك حضور في أفق الحياة الانسانية يمكن الصراخ له، وهو الذي يسألنا، أمام صرخة كل واحد منا: "ماذا تريد مني أن أفعل لك؟" فهناك من يعانق صراخنا، حضور لا يمكن لأحد أن يلغيه بعد الآن لأنه حدث في الماضي ويحدث الآن، وهو معاصر لنا، وسيبقى في التاريخ. إن إمكانية لقاؤه متاحة لكل واحد منا مهما كان الوضع الذي نحن فيه من جفاف أو تعب نعاني منه، عجزنا أمام الأشياء التي تستحوذ علينا أو العجز أمام العدم الذي يهاجمنا، فلن يتمكن أحد، مهما كان الموقف الذي يتخذه، من منع أن يصل اليه والاستماع إلى رنين وصدى سؤال المسيح كما وجه إليه شخصياً: "ماذا تريد مني أن أفعل لك؟" ولا شيء يمكن أن يمنعنا من الرد مثل بارتيماوس الأعمى: "أن أبصر يا معلم!"، [49] حتى أستطيع "الابصار"، أي اختبار جاذبيتك التي تخرجني من العدم. تتكون الصحبة المسيحية من أولئك الذين اعترضوا، مثل بارتيماوس، ورحبوا بهذا الحضور القادر على احتضان صرخة إنسانيتنا، وإيقاظ حب نهائي لا ينضب وحنان فوق التصور لأنفسنا، ليقوينا في مسيرتنا الانسانية حتى لا ننزلق إلى العدم.

---

47 G. Leopardi ، *Pensieri* ، LXVIII in Id.، *قصائد ونثريات* ، المجلد. ٢ ، موندادوري ، ميلان ١٩٨٠ ، ص. ٣٢١.

48 مر ١٠: ٤٦ - ٥١

49 مر ١٠: ٥١

الفصل الثاني

«كيف نملأ هوة الحياة العميقة هذه»

السؤال الذي وضعناه في مركز اهتمامنا هو أمر أساسي: "ما الذي يخلصنا من قبضة العدم؟" كيف يمكننا عدم الرضوخ لضعفنا وعجزنا وسط آلام الحياة التي لا مفر منها؟ ما هي الإجابة التي يمكننا بها الرد على غياب المعنى؟ إن الصدمة الناجمة عن تفشي فيروس كورونا، التي هزت كل واحد منا جعلتنا نخاف على حياتنا، وجعلت السؤال أكثر حدة بوضعنا في الظروف التي تساعدنا على تحليل محاولات إجابتنا بمزيد من الوضوح.

١) محاولات غير كافية

أ) حجج لم تعد تؤثر في أحد

يعتقد البعض أن خطاب واحد يكفي للانتصار على تحدي العدم الذي يمضي الى الأمام لكن الخطب وحدها، كما تبين لنا تجربتنا، ليست كافية. إذ أن الفكر والفلسفة والتحليل النفسي أو الفكري غير قادرين على إعادة إطلاق الإنسانية وبعث الرغبة فينا من جديد وتجديد ذواتنا. فالمكتبات مليئة بها ومع وجود شبكة الإنترنت كل شيء في متناول أيدينا، ومع ذلك يستمر العدم في التفشي. ونصبح واعين بهذا القصور كلما زاد الاهتمام بما يهتز في أعماق كل منا. «ففي الانسان شيء ما على المحك يتم حجبه أو قمعه أو تجاهله أو تشويهه. كيف نخترق ذلك المانع، وكيف نعرف ما إذا كان هذا هو التطلع النهائي للإنسان؟ وبينما نحن منخرطون في دراسة السلوك البشري كثيراً ما نتجاهل حيرة الانسان ".[50]
كم هي كثيرة الكلمات التي نسمعها ونقولها أيضا، وهي بلا فائدة! ويستنكر شكسبير ذلك بأسلوبه اللاذع: «يمكنه التحدث إلى أجل غير مسمى وعدم قول أي شيء. وأسبابه هي حبتين من القمح في شجرتين من القشر. عليك البحث عنها طوال اليوم، وعندما تجدها، تدرك أنها لم تستحق عناء البحث ».[51] إذ يمكن للعقل السير في دائرة مفرغة بحجج خالية من أي مضمون حقيقي. "ويتعرض الذكاء [...] دائماً إلى إغراء الانحراف تجاه لعبة مفاهيم يمكن أن يفتتن بها بدون إدراكه بقطعه لرباط الصلة الذي يوحد بينه وبين الواقع".[52] باختصار، لا يكفي اقتراح مفاهيم ، مهما كانت صحيحة وسليمة ؛ وليس هذا ما يمكن به الانتصار على الحياة وملأ العطش الذي يميزها. ولا حتى "خطاباً دينياً" – "مجموعة من الأفكار المختلفة المفككة التي لن تكون قادرة على استنهاض الآخرين"[53] – والتي يمكن أن تحرك إنسان اليوم. لا يكفي أن يكون لدينا رؤية دينية للحديث عن الله وعن السمو أو عن الإلهية للخروج من مستنقع العدمية. يمكننا أن نكون متدينين ثقافياً أو حتى مسيحيين ونختبر الفراغ الوجودي، حتى اليأس، بل وأبعد من الكلمات التي نقولها والقيم التي نعلنها. ولن تستطيع العظات المجردة والأخلاقية – سواء كانت دينية أو علمانية – تخليصنا من قبضة العدم.

---

50 أ هيشل، *من هو الإنسان؟* ٨ SE ، ميلان ٢٠٠٥ ، ص. ١٨.

51 شكسبير ، *تاجر البندقية* ، القانون الأول ، المشهد الأول.

52 F. Varillon ، *تواضع الله* ، Qiqajon - مجتمع بوس ، Bi) Magnano) ١٩٩٩ ، ص. ٣٠.

53 فرنسيس ، الإرشاد الرسولي *إيفانجيلي* ، ١٤٧.

لذلك كتب إفدوكيموف: "لم تعد الخطب كافية، إذ تشير ساعة التاريخ إلى الزمن الذي لم يعد فيه الأمر هو الحديث عن المسيح فقط، بل *أن نصبح المسيح ونصبح مكان حضوره وكلمته*" . *ولا تستطيع المفاهيم، حتى عندما تكون جميعها مثالية، أن تنتج جزءًا بسيطاً مما يمكننا من التغلب على العدم. فالمعرفة الكاملة، بأي نسخة، لا يمكنها منافسة العدمية الوجودية والملموسة. ولا يكفي تغيير المفاهيم وزيادة معرفتنا الفكرية للنجاح في الحياة.* ويعبر دوستويفسكي بطريقته الخاصة عن عدم تحمله للكلام الخالي من أي خبرة واقعية: « إن هذه الثرثرات المواسية، وكل هذه الكليشيهات المستمرة التي لا تتوقف، تظل دائمًا هي هي، بلا تغيير، حتى أصبحت كريهة بالنسبة لي لدرجة أنني [...] أحمر خجلاً حتى لو أن شخص آخر، وليس أنا ، يتحدث عنها في وجودي »[54] لكن سبب عدم التحمل ذلك – الذي أصبح متفشياً في عصرنا والذي نختبره بطريقة مباشرة – يشير إليه بالتسار Balthasar بقوله: « أنه في عالم لم نعد نعتقد فيه أننا قادرون على تأكيد الجمال وقيمته، تستنفذ حججنا لإثبات الحقيقة وقوة استنتاجاتها المنطقية: أي أن قياساتنا المنطقية تدور وفقًا للإيقاع المحدد مسبقًا، مثل الآلات الدوارة أو الآلات الحاسبة الإلكترونية التي يجب أن تعطينا عدداً معيناً من البيانات كل دقيقة، ولكن العملية التي تؤدي إلى استنتاج [هذه الأسباب ، وهذه القياسات المنطقية] هي آلية لم تعد تؤثر في أحد والاستنتاج نفسه لم يعد مقنعاً ».[55] يمكننا أن نقول أشياء حقيقية، ولكن، طالما أنها لا تحدث أمام أعيننا كجمال ملموس يجذبنا – "pulchritudo est splendor veritatis"[56] فالجمال هو روعة الحقيقة، كما يؤكد القديس توما الأكويني – فلن يوقفنا ولن يوقف الآخرين.[57] ففي الواقع، يواصل فون بالتسار Balthasar بقوله: " إذا افتقرت الحقيقة إلى هذه الروعة التي تشكل بالنسبة للقديس توما علامة الجمال، فإن معرفة الحقيقة تظل أمراً برجماتياً وشكلياً على حد سواء".[58]

ب) تعدد القواعد

يعتقد البعض الآخر أن ترياق العدمية الوجودية هو منظومة أخلاقية. وهكذا تتضاعف النداءات التي تحث على الالتزام بالواجب، وعلى "الأشياء التي يجب القيام بها"، والتي يمكن أن تحظى أيضًا بالطاعة والاحترام، من أجل بقاء المرء ووسائل راحته المختلفة، ولكنها لا تعطي رداً شافياً ولو بقدر قليل على ضيق الأنا، وعلى الحاجة الملحة لمعنى. وكما قال الصديق الشاب الذي ذكرته في وقت سابق: " أنه في غياب المعنى، لا يبقى سوى الواجب، واحساس مفرط به لا يجدي مما يدفعني أكثر إلى القاع".[59] وهو تصور أعرب عنه جيداً تولستوي بقوله: "وبعد هذه الصحوات كان يضع نيكلودوف Nechljudov القواعد دائماً، وكان يقترح على نفسه مراعاتها إلى الأبد. وكان يحتفظ بيوميات، وكان يبدأ حياة جديدة، تمنى ألا يحيد عنها أبداً: *بفتح صفحة جديدة* كما كان يقول لنفسه. ولكن بعد ذلك، وفي كل مرة، [...] كان يسقط من جديد، وغالباً ما كان سقوطه أعمق من النقطة التي انطلق منها ".[60] ولا تكفي الأخلاق حتى عندما تكون مشتركة بيننا. وهنا يعود إلينا بالتسار Balthasar من جديد للكشف عن السبب العميق وراء ذلك بقوله: "إذا افتقر *الخير* إلى تلك *المتعة* [ذلك السحر الذي يجذبنا والذي يسمح لنا باختبار الإحساس بالامتلاء وبالمتعة] والتي هي علامة الجمال عند أغسطينوس، تظل علاقتنا بالخير قائمة على المنفعة والمتعة الحسية".[61]

---

54 دوستويفسكي، *الجريمة والعقاب*، مونتادوري ، ميلان ٢٠١٠ ، ص. ١٨٨.

55 HU von Balthasar ، *تصور الشكل. مجد. جمالية لاهوتية* ، المجلد. أنا ، كتاب جاكا ، ميلانو ٢٠٠٥ ، ص. ١١.

56 « *Pulchritudo consistit in duobus, scilicet in splendore, et in partium proportione. Veritas autem habet splendoris rationem et aequalitas tenet locum ratioisis*" (St. Thomas ، *Commentum in Primum Librum Sententiarum* ، *Differentio* III، II quaestio، primae partis expositio).

58 H.U. von Balthasar ، *تصور الشكل. مجد. جمالية لاهوتية* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٨.

59 انظر هنا ، ص. ١٣.

60 تولستوي، *القيامة*، سانسوني، فلورنسا ١٩٦٥، ص ١٣٦.

61 H.U. von Balthasar ، *تصور الشكل. مجد. جمالية لاهوتية*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٨.

نعلم جميعًا هشاشة أي محاولة لتأسيس إجابتنا على التعطش الى تحقيق الذات، على الامتلاء، على أي مجهود أخلاقي، أو على مقياسنا الشخصي للالتزام. ومع ذلك، إذا اعتدنا كبالغين على العيش مع عدم قدرة مشاريعنا وبرامجنا الحياتية و"الأشياء الواجب القيام بها" على تلبية الاحتياج النابع من عمق ذواتنا. إذ يهمين على الشباب إدراك قوي بالفراغ وجوع أشد الى معنى – حتى عندما يكونوا مستترين – ويبحثون بطريقة ما، أو ربما بطريقة متناقضة، عن طرق أخرى للإشباع التام أو للفرار. وكتبت سوزانا تامارو Susanna Tamaro في مقال نشرته منذ عدة شهور في صحيفة بريد المساء الإيطالية Corriere della Sera بعنوان " هكذا يسقط أبنائنا بسبب شعورهم بالضعف والوحدة ": «لا يمر نهاية أسبوع بدون أن تطلعنا الأخبار على حادث اليم وقع ضحيته مجموعة من الأصدقاء فقدوا حياتهم بسبب حادث تصادم على الطريق بعد قضائهم سهرة صاخبة في أحد النوادي الليلية. وفي المحاولة لاحتواء هذا الواقع المأساوي يتم استدعاء استراتيجيات جديدة مثل: المزيد من الرقابة، التحقق من درجة الثمالة عند الخروج من النوادي الليلية، توفير وسائل مواصلات لنقل الشباب إلى بيوتهم في أمان وصحة جيدة. نها بكل تأكيد إجراءات ضرورية، ومنقذة للحياة في جزء منها، ولكنها لا تختلف كثيراً عن الرغبة في وضع سور من الأسلاك الشائكة للحماية من السقوط في الهوة السحيقة. إن ذلك يمكن إنقاذ حياة البعض بلا شك، لكن تبقى الهوة السحيقة دائماً هناك أمامنا [...]. إن ما يثير دهشتي هو أنه، بعد كل هذه الحوادث المتكررة، لم يتوقف أحد ليسأل: لكن ما الذي يحدث؟».[62] ففي مواجهة الهوة الوجودية، لا يمكننا الاعتقاد بأن الحل هو "الأسلاك الشائكة". إذ لا تكفي القواعد والأعمدة والأسوار الحمائية للحفاظ على الحياة من الفراغ. لا يمكن أن يكون هذا هو الجواب على سر وجودنا، إذ تؤكد خبرتنا ذلك باستمرار. ولن تتغير الأمور حتى لو استدعينا، بمزيد من التحسين، ما أسماه اليونانيون " المقياس السليم "، الذي هو منظومة أخلاق الحدود التي تحمينا من الاندفاعات والطموحات والرغبات الزائدة عن الحد. " إنني أود استرجاع ثقافة الحد هذه إلى ثقافتنا التي لا تعرف حدود للرغبة، كما كتب جاليمبرتي Galimberti ".[63] هل الرغبة إذن هي عيب يجب تصحيحه؟ فأمام مغالاتها وافراطها، الذي لا يعطينا فترة هدنة، منذ اليونانيين وحتى يومنا هذا يبدو أن لاستراتيجية الوحيدة هي تقليص الرغبة. لكن هذا الصراع الشرس لتقليص الرغبة ووضعها ضمن حدود مقبولة هو البرهان الأكثر وضوحا على عدم محدودية بنيتها، وعلى مغالاتها المثيرة للقلق. إن فشل أي محاولة لتقييد الرغبة بوضع حدود وفرض قواعد، يظهر عدم قابليتها للاختزال، وتظهر ديمومة القلب القلق الأغسطيني في عمق كياننا.

ج) خفض سقف الرغبة

إن محاولات الحد من الرغبة وإخفائها متواصلة وواسعة الانتشار، كما تلاحظ لويزا مورارو Luisa Muraro بقولها: «إن الاعتراض والخداع يأتيان بالاعتدال الذاتي: أي أن نرضى بالقليل. ثم يبدأ الخداع عندما نبدأ في التقليل من شأن ضخامة احتياجاتنا ونبدأ في التفكير في أننا بحاجة إلى قياسها بالنسبة لقوتنا، التي هي محدودة بطبيعة الحال". وبالتالي، فإننا نلتزم "برغبات وهمية مثل تلك الخاصة بالإعلانات، بأخذ أي نتائج كأهداف، ولم نعد نخدم اهتماماتنا الحقيقية، ولم نعد نفعل ما نهتم به حقًا، ولم نعد نسعى لراحتنا" الحقيقية؛ " ففي الواقع، ينتهي بنا الأمر الى العمل أكثر من أجل مكسب أقل".[64] نخفض حاجز رغبتنا، لذلك نخفض سقف رغبتنا محاولين خداع قلوبنا. كتب لي أحد الشبيبة: " إنني أجد صعوبة في العيش على قدر رغبتي وغالباً ما أتهاوى، وفي النهاية أرضى بأقل القليل".

---

62 تامارو، "ضعفاء ووحيدين، هكذا يسقط أبنائنا" ،*كورييري ديلا سيرا* ، ١٨ أكتوبر ٢٠١٩.

63 جاليمبرتي، "المعنى اليوناني للقياس"،*لا ريبوبليكا*، ١٦ نوفمبر ٢٠١٩، ص. ١٨٢.

64 مورارو ،*إله المرأة* ، موندادوري ، ميلان ٢٠٠٣ ، ص ٣١ - ٣٢

قال مونتاله: " إننا نملأ الفراغ بأشياء لا قيمة لها ".[65] إذ لا يمكننا قتل الوقت بدون مشاغل تملأ هذا الفراغ. وبما أن هناك القليل من الرجال القادرين على النظر بثبات إلى هذا الفراغ، فهنا الاحتياج الاجتماعي للقيام بشيء ما، حتى لو كان هذا الشيء يقوم بالكاد بتخدير الخوف الغامض من عودة هذا الفراغ فينا من جديد ».[66] هل هناك شيء أكثر أهمية اليوم من اكتشاف النسيج الأصلي لرغبتنا؟ "إن ما يستحق حقًا أن نضعه في مركز اهتمامنا – كما يلاحظ دي لوباك de Lubac – ليس الضريبة التي يدفعها الجميع للضعف البشري: بل طبيعة رغبته ومداها".[67] فالخطر الأكثر تهديداً لعصرنا هو على وجه التحديد عدم الاعتراف بالقامة الحقيقية لرغبة الإنسان؛ إنه عدم اعتراف يمكنه إتباع طرق متنوعة ويأتي بسبل مختلفة بتشجيع من أولئك الذين لديهم مصلحة في السيطرة على حياة الآخرين.

يضع سي. إس. لويس، بذكائه، هذا المفهوم على لسان Berlicche (اسم أحد الشياطين): «إن أعمق مشاعر التعاطف وأعمق دوافع أي إنسان هي المادة الخام، ونقطة البداية، التي أعطاها له العدو [الله]. وإبعاده عنها هو دائما نقطة يربحها (الشيطان)؛ حتى في الأمور المحايدة، فمن المستحسن دائمًا تبني مقاييس العالم، أو العرف، أو الموضة، بدلاً مما يحبه الإنسان أو يكرهه حقًا».[68] هذا هو التكتيك الشيطاني: وهو إبعادنا عن أعمق دوافعنا، وعن رغباتنا التي تشكلنا، من خلال تشتيت انتباهنا. لكن تشتيت الانتباه، الذي تستخدمه جميع القوى لفصلنا عن أنفسنا، يظهر الرابط بمجرد أن يهزنا الواقع مرة أخرى، كما رأينا في فترة تفشي فيروس كورونا هذه، بخرق فقاعة الخداع المعتاد. وباستخدام تشتيت الانتباه، نستعير عبارة مغني الراب ماراكاش Marracash، التي تبدو كأنها شاهد قبر، " إنني أملأ الوقت، وليس الفراغ."[69]

2. إنسانيتنا

إذا لم يحدث شيء يستحوذ تماماً على كياننا، ويعيد إحياء اهتمامنا بشمولية الواقع، يصبح كل شيء غريبًا، كما يقول جوزيف روث Joseph Roth: «لقد نما الشعور بالاغتراب حول كل واحد منهم، وكل واحد كان يجلس كأنه مغلق داخل كرة زجاجية، ينظر منها إلى الأخر بدون الوصول إليه».[70] ولكن لا الخطب وحدها، سواء كانت علمانية أو دينية، ولا المناشدات بالالتزام بالواجب، و"بالأشياء التي يجب القيام بها"، حتى باسم الدين، قادرة على تخليصنا بالكامل من ضعف رغبتنا ومن تنمل الاهتمام الذي ذكرناه في حينه.

وهذا موثق بالرسالة التي كتبها لي صديق شاب: «اكتشفت في نفسي أن أعظم إغراء هو الاعتقاد بأنني أعرف بالفعل الإجابة على هذا السؤال: " ما الذي ينقذنا من قبضة العدم؟ " لكن في الحقيقة أجدني دائمًا على حافة العدم. فكل الأشياء، حتى صديقتي أو دراستي، وحتى شهادتي الجامعية يمكن أن تصبح مملة، فكلها متساوية وبعيدة إلى حد ما [غير كافية لملء هوة الرغبة]. وبعد ذلك فقط أدرك هذه اللامبالاة (التي لا تفلت منها العواطف) وكلما أكثرت في النظر إليها كلما بدا لي أكثر أنني أدخل في تناقض حتى مع ما أعتقد أنني أعرفه. وأدرك أنني محاط بالعدم، حتى بمجرد التحدث إلى زملائي في الدراسة: فالحوار الذي يدور بيننا يتعلق بالعدم، ثم ننتقل من موضوع إلى آخر دون أن نتذكر ما كنا نتحدث عنه من قبل. ولكن هناك شيء واحد أفهمه وأنا أقف أمام مثل هذه اللحظات، وهو أنني لم أخلق من أجل العدم. فلست بحاجة للحديث عن الهواء المقلي، لأنني أحتاج إلى شيء يمسك بي ويخلصني من قبضة العدم، ولكن يبدو لي أن مجرد ملاحظة هذا لا يكفي لاعتراضه ".

---

65 مونتاله ،*في عصرنا* ، ريتسولي ، ميلان ١٩٧٢ ، ص. ١٨.

66 مونتاله ، "قتل الوقت" ، في Id.، *Auto da fè* ، Il Saggiatore ،Milan ١٩٦٦، ص ٢٠٧

67 H. de Lubac ،"Ecclesia Mater" ،Id.، *Meditation on the Church* ، vol. 8 -*الأعمال الكاملة* ، كتاب جاكا ، ميلانو ١٩٧٩ ، ص. ١٨٨.

68 سي. إس. لويس، *رسائل Berlicche* ، مرجع سبق الاستشهاد به ، ص. ٥٥.

69 "كل هذا اللاشيء - العيون" ، بقلم Marracash، ٢٠١٩ ، © Universal Music.

70 جوزيف روث، *المرأة العمياء* ، في المرجع السابق، *تاجر المرجان*، أديلفي ، ميلانو ١٩٨١ ، ص. ٦٣.

وبدلاً من ذلك – أقول – على وجه التحديد عند إدراكي بأننا لسنا مخلوقين من أجل العدم، أن هناك عنصر حاسم لا غنى عنه في مسيرة حياتنا لتحديد ما الذي ينقذنا من قبضة العدم: إنه اكتشاف تطلعاتي الإنسانية، واكتشاف إنسانيتي. ما هي إنسانيتنا هذه التي لا تترك نفسها للخداع، والتي لا يمكننا خداعها، والتي لا يمكننا إعطاءها أي إجابة منتقاة بشكل تقديري؟ فالخداع وتشتيت الانتباه يغطيان الشعور بالضيق، لكنهما لا ينقذانا من العدم. وعلى الرغم من إصابة إنسانيتنا بالجراح، وتهلهل مظهرها وتشوشها، إلا أنها لا تترك نفسها للتشوش وللخداع من أول شخص يمر عليها، وهذه علامة على أنها أقل تشوشاً مما تبدو عليه. ومع أننا في بعض الأحيان، بسبب الافتقار إلى الولاء أو الانتباه أو الأخلاق المطلقة، نسير وراء ما هو غير حقيقي ونستسلم له، إلا أن الإنسانية التي فينا تجعلنا ندرك، عاجلاً أم آجلاً، أننا اتبعنا وهمًا كبيرًا، كما قال عنوان كتاب للكاتب فرانسوا فوريه François Furet، *ماضي من الوهم*، في إشارة إلى وهم الشيوعية. تشكل إنسانيتنا حاجزًا حاسمًا في نهاية المطاف الذي لا مفر منه. نتفاجأ به في خبرتنا. " إن ما يعجبني من الخبرة – يكتب سي. إس. لويس – هو أنها تتعلق بشيء صادق. يمكنكم القيام بالكثير من المنعطفات الخاطئة؛ لكن ابقوا عيونكم مفتوحة ولن يُسمح لكم بالذهاب بعيداً قبل ظهور اللافتة الصحيحة. ويمكنكم خداع أنفسكم، لكن الخبرة لا تسعى إلى خداعكم. فالكون يرد بالإجابة الحقيقية عندما تستجوبونه بصدق".[71] ولكن، حتى تكون الخبرة كذلك – هنا بيت القصيد – لأنها تتضمن حكمًا، وتقييمًا، وبالتالي معيارًا يمكن على أساسه صياغة الحكم. وما هو المعيار؟ هو إنسانيتنا. إنها ليست مجرد شيئًا يجعلنا نعاني، وليست عبئا يجب أن نحمله رغماً عنا، وليست هوة لا يمكن ملؤها وليست مانع يعيق علاقتنا بالواقع: لا، إنها معيار حكمنا بالتحديد.

ما زلت أتذكر كيف طرت من الفرح عندما فوجئت بوعي في نفسي بتلك القدرة على الحكم التي تسمح لي باختبار علاقتي مع كل شيء. فالخبرة هي في الواقع اختبار تم الحكم عليه بذلك المعيار الذي هو إنسانيتنا: التي هي مجموعة معقدة من الاحتياجات والبديهيات الأصلية التي تنتمي إلينا بنيوياً والتي تعمل بمقارنة نفسها بما تلتقيه في مسيرة حياتها لقد اكتشفت أن مجموعة الاحتياجات والبديهيات التي في داخلي كانت المعيار النهائي للحكم على ما كان يحدث. إن الوعي بالنطاق المعرفي لإنسانيتنا هو الذي يدفع الأب جوساني إلى القول: " إن الوعي المتأني وحتى الحنون والمتحمس لنفسي فقط يمكنه أن يفتح ذاتي ويعدني للمعرفة"،[72] وإيقاف ما يستحق العيش من أجله. يجب أن نسأل أنفسنا ما إذا كان نفس الحماس والاهتمام والحنان يميز نظرتنا إلى أنفسنا: في بعض الأحيان يبدو أن هذه أشياء تتعلق بمجرة أخرى غير المجرة التي نحن فيها. يا لها من يا لها من صدمة إذن عندما نسمع الأب جوساني يقول: "كم هي إنسانية الإنسان، وكم هي إنسانية البشر!".[73] كم هي إنسانية إنسانيتي! فغالبًا ما نخاف، من عدم تحمس إنسانيتنا، لذلك نجد أنفسنا مشوشين، وغير قادرين على إيقاف الحقيقة، وفي النهاية يتلاشى كل شيء في عالم المجردات. "لقد سقط في نوع من التجريد العميق، والذي كان يمكن أن يطلق عليه حتى تخدر، وبدأ دون الانتباه إلى محيطه، وحتى بدون إظهار رغبة في ملاحظة أي شيء."[74]

فكلما وضعنا إنسانيتنا بين قوسين، كلما ترددنا في إدراك قيمة ما يحدث لنا، غير متأكدين من الاتجاه الذي يجب السير فيه. إنه عكس ما لاحظه الشاعر الإسباني خيسوس مونتيل Jesús Montiel في أطفاله بجيشان عاطفي، في زمن فيروس كورونا: «إن أطفالي لا يتوقفون عن إدهاشي. فخلال فترة الحجر الصحي المنزلي لم ينطقوا بشكوى واحدة، على عكس البالغين. إنهم يتقبلون الوضع لأن الحالة الطبيعية الحقيقية للطفل هي عائلته. وقد لاحظت أن الطفل الذي يكبر في بيئة محبة – دون أن تكون بالضرورة بيئة مثالية – لا يسعى إلى المزيد. [...] أنتم تكفوننا، كما يقولون. [...] أعتقد أن الأطفال هم الدليل على أننا لسنا مخلوقين من أجل المشاريع، ولكن من أجل العيش لمحبة الآخرين ومحبة الآخرين لنا.

---

71 سي. إس. لويس، *فاجئني الفرح*، كتاب جاكا، ميلان ١٩٨٢، ص. ١٩٩-٢٠٠.

72 الأب جوساني، *في أصل الزعم المسيحي*، ريتسولي، ميلانو ٢٠١١، ص. ٣.

73 الأب جوساني، *المودة والسكن*، بور، ميلانو ٢٠٠١، ص ٤٢.

74 F. Dostoevsky ، *الجريمة والعقاب* ، مرجع سبق الاستشهاد به، ص. ٥.

فهكذا فقط يكون للوضع الطارئ معنى ولا ينهار حاضرنا ».[75] يتعرف الأطفال بسهولة على ما يحتاجونه للعيش: إنه حضور الوالدين. بينما نحن البالغين، من المفارقة، غالبًا ما نقاوم وننزلق إلى الشكوى. فمن الواضح أن هناك بالغين يحافظون على إنسانية الأطفال البسيطة ويعمقونها. إيتي هيليسوم Etty Hillesum مثال ساطع لذلك. فقد كتبت في *يومياتها* : «أشكرك يا إلهي، لأنك خلقتني كما أنا. وأشكرك لأنني في بعض الأحيان أستطيع أن أكون مليئة بالرحابة، التي ليست شيئاً آخر سوى كياني المتلئ بك ».[76]

٣) " فن ''الإحساس'' بكامل الإنسان "

من منا يشعر، كل يوم، على الأقل بلحظة حنان حقيقي تجاه نفسه وإنسانيته؟ ففي كثير من الأحيان نسيء معاملة أنفسنا، ونغضب من إنسانيتنا، التي لا تسمح لنفسها بأن تغريها الأكاذيب: إننا نود الهروب منها ومن ناحية أخرى لا يمكننا أن نمحيها. وتحسن عبارة نيتشه Nietzsche التعبير عن ذلك في كتابه *العلم المرح* التي يقولها على لسان المسافر: «كم أكره هذه الرغبة الجامحة للحقيقة، وللواقع، ولليقين، كم أكرهها! ».[77] لهذا السبب أذهلتني دائمًا عبارة البابا يوحنا بولس الثاني: " إن الحنان هو فن ''الإحساس'' بكامل الإنسان ".[78] فهذا ''الإحساس'' بكامل الإنسان هو أمر جوهري للعيش والذي هو عكس النزعة العاطفية بلا عقل. ولكن ''من النادر أن تجد – كما يقول الأب جوساني – شخصًا مليئًا بالحنان تجاه نفسه!''.[79] فإذا حاولنا أن نحسب عدد من نعرفهم، فربما تبقى بعض أصابع يد واحدة. فاليوم غالباً ما يسود الغضب والعنف تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين، كما هو الحال مع الواقع.

ومع ذلك، فإن ما يريد اختباره كل إنسان هو بالضبط هذا الحنان تجاه إنسانيته، كما يكتب كامو Camus في روايته *كاليجولا Caligola*: " يبدو كل شيء معقدًا للغاية. ومع ذلك هو بسيط للغاية. لو كان لدي القمر، يا Drusilla، لأصبح العالم والسعادة شيئاً مختلفاً. أنت تعرف يا كاليجولا، أن باستطاعتي أن أكون حنوناً. الحنان! ولكن أين يمكنني أن أجد ما يكفيني منه لأروي عطشي؟ أين أجد قلبًا عميقًا مثل بحيرة؟ [...] لا يوجد شيء يناسبني، لا في هذا العالم ولا في ذلك العالم الآخر. ومع ذلك أنا على يقين، مثلك أيضًا [...]، بأن المستحيل يمكن أن يكفيني. المستحيل! بحثت عنه في نهاية حدود العالم ونهاية حدود نفسي [فهذا ما نبحث عنه جميعاً] أمد يداي ولا التقي إلا بك، بك دائماً كبصقه على وجهي. أنت في توهج النجوم الرائع والعذب [...] أنت الذي بالنسبة لي كجرح أود اقتلاعه بأظافري ».[80]

إذا لم نجد "شيئًا" يسمح بأن يكون لدينا هذا الحنان تجاه عطشنا، تجاه إنسانيتنا، ينتهي بنا المطاف بالنظر إليه كجرح نود أن نقتلعه من جسدنا – وهو عكس الحب تمامًا –. ولكن لماذا نريد التخلص منه؟ حتى لا نشعر بالمأساة، وللتخفيف منه بقدر الإمكان، وحتى لا نشعر بعدم كفاية كل الأشياء التي نضع فيها توقعاتنا، حتى لا نضطر إلى التعامل مع الهوة التي تفصل بين ما نريد وما ننجح في الحصول عليه. كما يقول كامو: "لا يوجد شيء يناسبني" ، أو كما يغني جوتشيني ، في إشارة إلى علاقة الحب: "أنظري يا حبيبتي، إنه من الصعب شرحه، / ومن الصعب أن تفهمين إذا لم تكوني قد فهمت بالفعل ... // أنتي الكثير ، حتى لو لم تكوني كافية ، / [...] أنت كل شيء ، لكن ذلك الكل لا يزال قليلا" .[81]

---

75 مونتيل ،*الهدف*،٢ أبريل ٢٠٢٠.

76 إيتي هيليسوم، *يوميات. الطبعة الكاملة* ، أديلفي، ميلانو ٢٠١٢، ص. ٢٧١.

77 "*Dieser Hang und Drang zum Wahren ،Wirklichen ،Un - Scheinbaren ،Gewissen! Wie bin ich ihm böse!* ». ترجمتنا. أنظر نيتشه ،*العلم المرح* ، أديلفي ، ميلانو ١٩٩٥ ، ص. ٢٢٣).

78 فويتيوا ،*الحب والمسؤولية* ، ماريتي ، تورينو ١٩٨٠ ، ص. ١٥٠.

79 Giussani ، *حدث حياة ، أي قصة* ، تحرير - Il Sabato ، روما - ميلانو ١٩٩٢ ص. ٤٥٧.

80 A. كامو ، «Caligola»، في Id، *جميع المسرحيات*، Bompiani وميلانو ١٩٩٣، ص ١١٣ - ١١٤

81 «انظري يا حبيبتي» ، كلمات وموسيقى F. Guccini ، ١٩٧٠ ، © EMI.

عندئذ يظهر البديل: الحنان ("فن ''الإحساس'' بكامل الإنسان") أو الكراهية تجاه إنسانيتي ("جرح أود أن أقتلعه من جسدي"). كم مرة نشعر فيها بالقلق لأننا لا نستطيع إبعاد إنسانيتنا وقمعها: على الرغم من كل جهودنا لإسكاتها، فإنها تنفجر وتشعرنا بوجودها في اللحظة التي لم نتوقع فيها ذلك. يروي *ميجيل مانيارا Miguel Mañara* من ميلوش Milosz هذه الخبرة بطريقة مثالية. ينغمس مانيارا في الحياة المنحلة، لكن هذا لا ينجح في ملء الهوة العميقة التي في إنسانيته، أي ملء رغبته. «لقد جررت الحب إلى المتعة، وإلى الوحل، وإلى الموت [...]. آكل العشب المر من صخرة الملل. لقد خدمت Venere بغضب، ثم بعد ذلك بخبث واشمئزاز [...]. بالطبع، في شبابي، سعيت أيضًا، مثلكم تمامًا، إلى الفرح البائس، والى المرأة الأجنبية القلقة التي تمنحك حياتها ولا تخبرك باسمها. لكن ولدت في داخلي الرغبة في السعي لمعرفة ما لا تعرفونه: الحب العظيم والمظلم والحلو. [...] آه! كيف يمكننا أن نملأ هاوية الحياة هذه؟ ما العمل؟ لأن الرغبة موجودة دائمًا، أقوى وأكثر جنونًا من أي وقت مضى. إنها مثل حريق في البحر يهب بلهبه في أعماق ظلام العدم الكوني! "[82] وتبقى الرغبة وتستمر، أقوى من أي وقت مضى، على الرغم من كل شيء. وكنا نقول، هذه هي المفاجأة. إنها لا تنطفئ: فكلما طالت حياتنا وحاولنا إشباع هذه الرغبة أو تخديرها، كلما ازدادت. بالنسبة للقديس أغسطينوس، لا شيء يتناسب مع عمق قلب الإنسان، الذي يهتز في كل واحد منا: «إذا كانت الهوة هي العمق، ألا نعتقد أن قلب الإنسان هو الهوة؟ في الواقع ما هو أعمق من هذه الهوة؟ يمكن للبشر أن يتكلمون، ويمكن رؤيتهم وهم يتصرفون بأطرافهم، ويمكن الاستماع إليهم عندما يتحدثون: ولكن ما الذي نخوض في فكره، ومن الذي نقوم بفحص قلبه؟ ما الذي يفعله هذا بداخلك، وما الذي يمكنه فعله، وماذا تتأمل، وما الذي تملكه، وما الذي تريده وما الذي لا تريده، ومن يفهم ذلك؟

لذلك أعتقد أن يجب فهم الإنسان بالهوة، والتي يقال عنها في مقطع آخر: "سيقترب الإنسان بقلبه العميق، سيتمجد الله".[83]

ولكن بعد ذلك – نكرر مرة أخرى – ما الذي ينقذنا من قبضة العدم، ما الذي يمكنه أن يملأ هوة الحياة هذه، هذه الرغبة غير القابلة للاختزال وغير المريحة والسامية، "حتى أصبحت أكبر مما صار عليه الكون"،[84] فهي شكل الإنسانية التي فينا والتي تكشف عن تحيز وعدم كفاية محاولاتنا؟

---

82 Milosz OV ، *Miguel Mañara. Mefiboseth.شاول الطرسوسي* ، كتاب جاكا، ميلانو ٢٠١٠ ، ص ٢٧ - ٢٨

83 انظر القديس أغسطينوس ،*معرض حول المزامير ١٣ و ٤١*

84 G. Leopardi ، "أفكار" ، LXVIII ، في المرجع السابق ،*قصائد ونثر* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٣٢١.

«الجسد هو حجر الزاوية للخلاص »

" *Caro cardo salutis*." "الجسد هو حجر الزاوية للخلاص".[85] هي عبارة ترتليانوس، أحد آباء الكنيسة. قد تبدو غامضة، لكن يتضح معناها بمجرد نظرنا إلى خبرتنا: ما الذي – إذا حدث، وعندما حدث – كان قادراً على إنقاذنا من قبضة العدم؟

١) حضور جسدي

كمساهمة شخصية في التصدي للموضوع الذي نقوم بتطويره،[86] أرسلت لي إحدى الشابات رسالة تتميز بتركيزها بطريقة بسيطة وواضحة على النقطة التي تهمنا. لذلك هي تستحق إعادة طرحها. فالآخرون – أعتقد أنه – رغم تنوع أشكالهم، إلا أنهم سيتعرفون بسهولة على ذواتهم في كل ما تكتبه تلك الشابة.

"عندما أتساءل ما الذي يخلصني من العدم، لا يمكنني سوى التفكير في قصة حياتي كاملة حتى اليوم. فهناك لحظتان تركت في انطباعات قوية وتخطران على بالي عندما أفكر في هذا العدم. اللحظة الأولى هي ذكريات طفولتي، والفرق الهائل الذي شعرت به عندما كنت أشاهد النجوم. لقد صدمني التفكير بأنني لا شيء أمام عظمة الكون. وفي بعض الليالي لم أستطع النوم لهذا السبب، لأن حياتي بدت وكأنها لحظة لا معنى لها في تيار الزمن الذي يسير بلا توقف. وفي مرة أخرى، عندما عدت إلى المنزل مع والدتي بعد جولة تسوق في المحال التجارية (وهو شيء كنت أحبه للغاية)، عدت إلى السيارة وأنا أشعر بحزن لا ينقطع (هو شعور معين بالحزن كنت أشعر دائمًا أنه قريب جداً). وقلت ذلك لوالدتي: "هناك أيام لم يحدث فيها شيء خاص، لكن فجأة شعرت بحزن كبير لا أعرف سببه". وقد بقينا في حالة من الصمت بقية الرحلة، ماعدا المذياع الذي كنا نسمعه كخلفية. إنه حزن لانهائي، ينتهي إلى لا شيء. وقد التقيت بحركة الشراكة والتحرر (ومن خلالها بالمسيحية) عندما انتقلت إلى مدرسة جديدة أسستها بعض عائلات الحركة. وبعد عامين من مرض والدي ووفاته – وأنا في السابعة عشرة – قررت الاستعداد والتقدم لسر التناول المقدس لأول مرة والانضمام إلى الحركة. ثم تعرفت على أحد الكهنة في السنة الأولى بالجامعة. وعند رؤيته للحالة المؤلمة التي كنت أمر بها، أعطاني الرسالة التي كنت قد كتبتها عن موضوع الاعتداءات الجنسية (وهو أمر لا علاقة له بما كنت أعيشه)، " فلنعود بجراحنا إلى المسيح" والتي نشرت في جريدة الجمهورية (Repubblica La)، بتاريخ ٤ إبريل ٢٠١٠. والذي تحدثت فيه عن العطش الى العدالة، ولكن كان يمكنك التحدث عن عطشي بشكل عام. لقد قلت إن هذا العطش "بلا حدود"، "بدون قاع"، "لا يمكن استنفاذه، لأنه عطش دائم". "فإذا كان هذا هو الوضع، فالسؤال الأكثر إلحاحًا – والذي لا يمكن لأحد أن يتجنبه – هو بسيط وعنيد في الآن ذاته: " Quid animo satis ? " ماذا يشبع النفس؟" لماذا طرحت هذا السؤال فقط؟ ولماذا افترضت أن هناك شيئًا يكفي النفس ويشبعها؟ قرأت الرسالة وأعدت قراءتها، وجلست وحدي في غرفة معيشتي، وانفجرت دموعي وأنا أفكر: "لكن هل من الممكن حقاً ملء هذا الألم وهذه الرغبة في الخلود وهذا الجرح؟ هل يوجد في هذا العالم ما يشبعهم؟". لقد كانت المرة الأولى في حياتي التي اعتقدت فيها أنه من الممكن أن يكون هناك شيء حقيقي وجسدي وملموس يروي عطشي.

---

[85] ترتليانوس، *قيامة الجسد*، 8.3: PL 2،806.

[86] نشير إلى الدعوة لإرسال المشاركة الشخصية المكتوبة فيما يتعلق بالسؤال "ما الذي يخلصنا من قبضة العدم؟" ؛ انظر هنا الصفحات 3-4.

كان الأمر كأنه مفاجأة بتجمع كل العناصر من جديد في وحدة واحدة: فالأشخاص الذين عرفتهم في تلك المدرسة، والنظرة المختلفة تماماً لمعلمي مدرستي، وتلك اللحظات التي قضيتها في المخيمات الصيفية عندما كان قلبي يتسع ويهتز كنت أفكر بيني وبين نفسي كما لو كنت انتظرت طوال حياتي لأسمع ما قد سمعته. كل هذا كان "أنت" بطريقة ملموسة وقادرة على شفاء جراحي وإشباع رغبتي في الخلود: "إنه يجعل الأبدية حاضرة هنا والآن: إنه المسيح، السر الذي صار جسداً". كانت هذه السنوات قصة حب لهذا الجسد الملموس، لهذا "الأنت" المحسوس. ففي أسابيع العزل المنزلي هذه، أدرك أن المسيح قد استحوذ على حياتي، لأنه جعلني أرى، وأختبر أن حزني ليس محكوماً عليه بالعدم ".

ولكن بعد لقاء هذا الحضور الجسدي الذي ينقذ من العدم، لم تنته اللعبة على الإطلاق. وبسبب العديد من أحداث الحياة وأحيانا بسبب تعجرفنا أو ضعفنا وبسبب الصعوبات التي تبرز على السطح والتي تحيرنا، يمكن أن نضل طريقنا، ويمكن أن نجد أنفسنا بعيدين عن حضور (المسيح) الذي التقيناه ويمكننا التخلي عنه. حتى في هذه الحالات سيظل دائماً جسداً واحداً قادراً على الاستحواذ على اهتمامنا من جديد. في الأشهر الأخيرة، كتبت لي طالبة جامعية: «قبل عام، تحت وطأة بعض الأشياء التي حملتها في داخلي، هربت من تلك الصحبة رغم اعترافي بأنها كانت ضرورية لحياتي. ولم أعد أعرف نفسي. إذ كانت نظرتي بلا حياة وخالية، وكان قلبي منهكاً لدرجة أنني أردت حتى الاختفاء عن الأنظار. واعتقدت أنه لا يوجد شيء لأفعله، إذ شعرت بأنه ليس هناك أمل. واعتقدت أنني لن أتعافى أبداً.

ومع ذلك، وبفضل صحبة بعض الأصدقاء الذين لم يتركوني وحدي أبداً، والذين اعتنوا بي وبقلبي، حاولت البدء من جديد. وبالفعل انطلقت مجدداً بداية من تلك الوجوه التي كانت تنظر لي بمشاعر من طيبة القلب والحنان التي لم أكن أشعر بها في تلك اللحظة». كم يعمل جيداً هذا جهاز الكشف الذي فينا! فعندما ينظر إلينا إنسان بذلك الحنان الذي يعانق به كل كياننا، ندرك ذلك على الفور! "مرات عديدة – تواصل صاحبة الرسالة ــ سألت نفسي: ولكن إذا كنت أنا نفسي لا أستطيع أن أحب نفسي، فكيف يمكن للآخرين أن يحبونني ولماذا يفعلون ذلك؟ أي قلب لدي هؤلاء الناس؟ ما الذي رأوه؟ ما الذي وجدوه في حتى يحبون إنسانه مثلي؟ أردت أن أفهم. لذلك بدأت رحلة البحث. لقد كانت سنة كاملة ومكثفة ومتعبة ولكنها رائعة. لقد مر عام – أستطيع أن أقول – بأنني شعرت فيه بالاضطراب وبامتلاء حياتي أيضاً. ليس لأنني كنت أفضل أو لأن هذا الألم وتلك المخاوف التي كانت بداخلي قد اختفت، ولكن لأنني اختبرت من خلال هذه الوجوه المحددة شعور يتوافق مع قلبي لم اختبره من قبل "لم أتخيله، ولا يمكن تخيله" .[87] أتمنى أن يتمكن الجميع من اختبار جمال اللقاء والصداقة مثل تلك التي عشتها. فمن الرائع العيش مع اليقين بأنني وجدت صحبة عظيمة لقلبي. أريد أن احتضنها بقوة. إذ لم يعد بإمكاني أن أفقدها، وأسير وراء أفكاري، لأنني لم أدرك أكثر من أي وقت مضى أنه في هذا المكان فقط بأنني مقبولة ومحبوبة بكل ضعفي ومخاوفي وآلامي واحتياجاتي؛ لأنه هنا فقط يمكنني أن أنظر وأخذ نفسي على محمل الجد دون أن أهمل شيئاً ودون أخذ أي شيء كأمر مسلم به. إذ أدرك أنه في هذه الصحبة فقط وجدت أصدقاء يحبون قلبي. ويدهشني الشعور باليقين من ذلك، رغم أنني لا أشعر بذلك وأنا وحدي ". عندما نواجه نظرة مليئة بالحنان الحقيقي لنا، ندرك أن هناك بديلا للكراهية وللغضب تجاه أنفسنا. وتواصل الرسالة: "إذن، ما الذي يخلصني من قبضة العدم؟ ما الذي أنقذني من العدم في تلك الأيام؟ هذه الصحبة ". أي: صحبة حقيقية وجسدية وتاريخية. هذا هو الجسد الذي يخلص الحياة. *الجسد هو حجر الزاوية للخلاص*: الجسد، وليس أفكارنا، ولا صورنا، ولا خيالاتنا، وليس الواقع الافتراضي، ولكن الجسد، أي – كما قالت الطالبة وهي تختم رسالتها – «وجوه محددة التي أجد في نظراتها الصلاح والحنان الذي يعيدني إلى الآخر، إلى الأنت الحي والحاضر هنا والآن، والذي أعادني إلى الحياة». "إن الجسد هو حجر الزاوية للخلاص". إنه جسد يمكن التعرف عليه لاختلافه، كما يحكي لنا الكاتب دانييلي منكاريللي Daniele Mencarelli، في فقرة مؤثرة من سيرته الذاتية، التي تحمل عنوان ***بيت النظرات***: «كان هناك ولدان يقفان على نفس ارتفاع نافذة الحرية الزجاجية.

---

87 الأب لويجي جوساني- S. ألبرتو- J. Prades ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، بور ، ميلانو 2019 ، ص. 22.

وكانت تحمل الأم طفلاً بين ذراعيها بينما يلعب معه الأب، ويريه نافورة الحديقة الداخلية وفي الوقت نفسه، كان يفتعل تعابير بوجهه ولسانه ليضحك ابنه. واستدارا الوالدين ومعهما الطفل الصغير عندما اقتربا مسافة متر من الولدين. ثم تفقد الخطوة إيقاعها المنتظم وكذلك التنفس. فالطفل في الثالثة من عمره؛ وبخلاف عينيه، لا يوجد له وجه وبدلا من الأنف والفم توجد ثقوب في اللحم الأحمر. فأوجه نظري الى رخام الأرضية والى الجانب الآخر بدون أن أراهم. [...] وأضيع الوقت على أمل أن يغادر المكان هذان الصبيان والطفل المشوه. لكن تصل ضحكات الطفل قبل أي شيء لا يزال الأولاد هناك. لكنهم الآن ليسوا وحدهم. فأمامهم إحدى الراهبات، وهي كبيرة السن، ومنحنية إلى الأمام ويلمس وجهها وجه الطفل الرهيب. "أنت الابن الجميل لماما وبابا، أليس كذلك؟ "فتمسك إحدى يديه الصغيرتين وتقبلها، وربما لمداعبتها له ينفجر ضاحكاً، وعمر الراهبة لا يقل عن ثمانين عاماً، ووجهها ممتلئ ولونه أبيض كالحليب. "إذن أنت لست وحدك أيها الطفل الجميل، واللطيف أيضاً، هل تحب ذلك؟" وتقوم بتمرير يده الصغيرة على فمها وذقنها ليشعر بالسرور. ثم تقف الراهبة وتنظر إلى والد الطفل وأمه. "ولكن ألا تسمعا ضحكات إبنكما؟ إن في داخله ليس الفضة بل الذهب والذهب الحي ". وتقبله غير عابئه بوجهه وبكل شيء. لقد ذهلت، لا أستطيع أن أفهم أو أحل هذه اللغز. لقد رأيت شيئًا إنسانياً وفي نفس الوقت غريبًا، مثل أحد الطقوس القادمة من أرض بعيدة جداً، لا أستطيع أن أجد بداخلي الأدوات اللازمه لترجمته إلى لغتي [...] لقد حاولت كل الطرق المختلفة، وحاولت نسيان ما رأيته كهذيان امرأة عجوز ترتدي ملابس رمادية، و كتعصب راهبة لا تسمع ولا ترى الألم والتي أرادت إستغلاله بكل السبل للاستشهاد بتفوق إلهها، حتى في مواجهة هذا التشوه، ثم كعرض مسرحي لمثلة موهوبة التي بعد ثانية، ربما تكون قد ذهبت الى المرحاض وغسلت فمها من آثار القبلة التي أعطتها لهذا الوجه المشوه. ولكن لا يمكن لأي قراءة أن تملأ المسافة بين ما رأيته وبين منطقي».[88] لقد حاول الكاتب أن يفسر الطبيعة الاستثنائية التي رآها والتي يمكن التنبؤ بها والمفهومة التي رآها والتي غزت عينيه ("شيء إنساني وغريب في نفس الوقت") ، الأمر الذي جذبه و أثر فيه. كم من المرات نحاول بعناد تقليل التنوع الذي نراه الى مقياسنا! "إن الإنسان ملتصق بالنظام والاستنباط المجرد لدرجة أنه على استعداد لتغيير الحقيقة مسبقاً، وعلى استعداد لعدم الرؤية من خلال الرؤية وعدم الاستماع عن طريق السمع، فقط لتبرير منطقه".[89]

ما الذي جذب Mencarelli؟ نفس الشيء الذي جذب الشابات اللاتي كتبن الرسائل المذكورة: الاختلاف الانساني. ولم تتراجع الراهبة أمام الوجه المشوه تماماً لذلك الطفل ، بل على العكس من ذلك فقد حملت له حنان ، وتعاطف عميق بالمعنى الكامل للمصطلح وغمرته بمودة إنسانيتها العميقة والتي بدت "أكثر" من إنسانية، فقد بدت "غريبة" و – إلهية –.

الحضور الجسدي فقط هو القادر على تخليصنا من العدم ؛ إنه حضور لا يمكن لكل تفسيراتنا القضاء عليه، لأنه يجذبنا، ويستحوذ على انتباهنا، ويجذبنا إلى الأعماق، ويثير كل رغبتنا في نفس اللحظة التي تجعلنا نختبر فيها توافقاً مع ذلك الحضور يفوق التصور. من منا لا يرغب في النظر إليه بذلك الحنان الذي شعرت به صديقاتنا أو بذلك الحنان الذي نظرت به الراهبة إلى ذلك الطفل؟ إن مصادفة مثل هذه النظرة المتجسدة في إنسان هي فقط التي يمكنها أن تملأ "الهوة العميقة للحياة" التي تحدث عنها ميلوش. إنه الجسد فقط الذي يستطيع الانتصار على العدم. ليس أي جسد، ولا أي حضور جسدي، بل حضور يجلب معه شيئًا يتوافق مع كل تطلعاتنا وبالتالي قادر على جذب كياننا. في الواقع، هناك جسد يترك طعم المرارة في أفواهنا، وينتهي الى حياة تمتلىء بالملل والوحدة، كما حدث لميجيل مانيارا قبل لقائه مع جيرولاما ومع كل جديد أدخلته في حياته. كما يكتب دي لوباك: «لا شيء مما يخلقه الإنسان أو ما يتبقى في مستوى الإنسان يمكن أن يخلص الإنسان من وحدته وعزلته. بل على العكس من ذلك، ستزداد الوحدة أكثر فأكثر عندما يبدأ تدريجياً في اكتشاف ذاته، لأنها ليست شيئاً آخر سوى أنها عكس الشراكة المدعو إليها الإنسان".[90]

---

88 D. Mencarelli ، *بيت النظرات* ، مونادوري ، ميلان 2020 ، ص. 183-185.

89 F. Dostoevskij ، *مذكرات من تحت الأرض* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. 35.

90 دي لوباك، "الكنيسة الأم" في *تأملات عن الكنيسة* الصفحات 161-162.

٢) يسوع الناصري العبراني

ما الذي يمكنه الانتصار على العدمية ؟ إنه بانجذابنا إلى حضور وإلى جسد يجلب معه وفيه، شيئًا يتفق مع كل تطلعاتنا ورغباتنا واحتياجنا إلى المعنى وإلى الحب وإلى الامتلاء وإلى تقدير الذات. إنه «ذلك» الجسد فقط هو القادر على تخليصنا من قبضة العدم وعلى ملء "هوة الحياة السحيقة" و ملء «الرغبة المجنونة» في تحقيق ما بداخلنا، مستخدمين مرة أخرى تعبيرات ميلوش Milosz . إذا لم نعيش هذه الخبرة، فإننا لا نخرج من عدمية تفكيرنا، حتى لو كنا مدربين ثقافياً على إلقاء الخطب الدينية وقمنا بكل شيء ممكن، لأن «الحجج المؤيدة للحقيقة»، التي تحدث عنها بالتسار، و «الأشياء التي يجب تنفيذها» ليست قادرة على «استحواذ اهتمامنا»، وجذب كل كياننا؛ فعاجلاً أم آجلاً – عادةً عاجلاً وليس آجلاً – ينتهي بنا الأمر الى الشعور بالضيق والملل.

والآن، دخلت هذه النظرة المليئة بالحنان لإنسانيتنا الى العالم منذ ألفي عام من خلال جسد إنسان، هو العبراني يسوع الناصري. « ارتبطت كلمة الله الأبدية بيسوع في التجسد بطريقة [...] لا يمكن بها التفكير في الكلمة الأبدية بشكل منفصل عن علاقتها بيسوع الإنسان. [...] فأي إنسان يتواصل مع الكلمة الإلهية يلمس يسوع الناصري . [...] لأنه هو الكلمة الإلهية ذاتها التي صارت في يسوع الانسان شخصية تاريخية. من المؤكد أن الله يلمس الإنسان بطرق عديدة حتى بعيداً عن أسرار الكنيسة. لكنه يمسه دائمًا من خلال يسوع الانسان الذي هو وسيط ذاتي في التاريخ وهو وسيطنا في الأبدية. »[91]

إن هذا الحدث – التجسد – هو نقطة تحول في تاريخ الإنسان ولا يمكن لأحد أن ينزع عنه تلك الحقيقة. لهذا السبب ، يؤكد الأب جوساني، «إنه في الجسد يمكننا التعرف على الله الكلمة المتجسد. فإذا تجسد الله الكلمة في جسد فإننا لن نجده إلا في جسد».[92]

فكل من يستوقفه يدرك أنه أمام الحدث الأكثر حسماً في حياته. إننا نرى ذلك بوضوح عند حدوثه. دعونا نعود إلى واحد من أهم أحداث الإنجيل من وجهة النظر هذه، نحاول فيه التماثل مع تلك المرأة التي أتت الى يسوع بضميرها المتألم وبإحتياجها ,بطعم المرارة في فمها بسبب كل شرورها، وبعجزها عن إيجاد السلام في داخلها، وبغياب الحنان تجاه نفسها، وربما برغبتها المندفعة لنزع إنسانيتها عن نفسها وبتلك الرغبة التي حاولت إشباعها بطريقة سيئة. ومع ذلك، كانت إنسانية تلك المرأة بالتحديد واحتياجها إلى الحب وإلى النظر إليها بنظرة حقيقية الذي جعلها تتفاجيء بما لم تتوقعه، أي بحضور يسوع.

«ودَعاهُ أَحَدُ الفرِّيسيِّينَ إِلى الطَّعامِ عِندَه، فدَخَلَ بَيتَ الفرِّيسيّ وجلَس إِلى المائدَة. وإِذا بِامرأَة خاطئَة كانت في المَدينة، عَلِمَت أَنَّه على المائدَة في بيتِ الفرِّيسيّ، فجاءَت ومعَها قارورةُ طيبٍ، ووَقَفَت منْ خَلْفُ عندَ رِجلَيه وهيَ تَبْكي، وجَعَلَت تَبُلُّ قَدَمَيه بِالدُّموع، وتمسَحُهُما بِشَعْرِ رَأسِها، وتُقَبِّلُ قَدَمَيه وتَدهُنُهما بِالطِّيب. فلَمَّا رأَى الفرِّيسيُّ الَّذي دَعاهُ هذا الأَمر، قالَ في نَفْسه: «لو كانَ هذا الرَّجُلُ نَبيّاً، لَعَلِمَ مَن هيَ المَرأَةُ الَّتي تَلمسُه وما حالُها: إِنَّها خاطئَة» فأَجابَه يسوع: «يا سمعان، عندي ما أَقولُه لَكَ» فقالَ: «قُلْ يا مُعلِّم» قال: «كانَ لِمُدايِنٍ مَدينان، على أَحدهما خَمسُمائة دينارٍ وعلى الآخَرِ خَمسون. ولَم يَكُنْ بِإمكانِهما أَن يُوفِيا دَينَهُما فأَعفاهُما جَميعاً. فأَيُّهما يَكونُ أَكثَرَ حُبّاً لَه ؟ فأَجابَه سمعان: «أَظُنُّه ذاك الَّذي أَعفاهُ منَ الأَكثَر». فقالَ له يسوع: «بِالصَّواب حَكَمتَ» ثُمَّ التَفَتَ إِلى المَرأَة وقالَ لسمعان: «أَتَرى هذه المَرأَة ؟ إِنِّي دَخَلتُ بَيتَكَ فما سكَبتَ على قَدَمَيَّ ماءً. وأَمَّا هيَ فَبِالدُّموعِ بَلَّت قَدَمَيَّ وبِشَعرِها مَسَحَتَهُما. أَنتَ ما قَبَّلتَني قُبلَةً، وأَمَّا هي فلَم تَكُفَّ مُذ دَخَلَت عَن تَقبيلِ قَدَمَيَّ. أَنتَ ما دَهَنتَ رأسي بِزَيتٍ مُعَطَّر، أَمَّا هيَ فَبِالطِّيبِ دَهَنَتْ قَدَمَيَّ. فإِذا قُلتُ لَكَ إِنَّ خَطاياها الكَثيرَةَ غُفِرَت لَها، فلأَنَّها أَظهَرَت حُبّاً كثيراً. وأَمَّا الَّذي يُغفَرُ له القَليل، فإِنَّه يُظهِرُ حُبّاً قَليلا.»[93]

---

[91] جوزيف راتسينجر، "المسيح والإيمان وتحدي الثقافات" ، *أخبار آسيا* ، رقم. 1994/141.

[92] الأب جوساني ، *جانبية يسوع* ، بور ، ميلانو 1999 ، ص. 123. راجع. الدستور العقائدي حول الوحي الإلهي *Dei Verbum* ، 4.

[93] لو٧ :٣٦-٤٧

هنا نجد أنفسنا أمام تلك «الواقعية التي لم نسمع عنها من قبل» والتي تحدث عنها بابا بنديكتوس السادس عشر، عندما أكد أن "إن الشيء الجديد الحقيقي للعهد الجديد لا يكمن في أفكار الجديدة، ولكن في شخصية المسيح ذاته، الذي يعطي جسد ودم للمفاهيم".[94] كل واحد منا – أعتقد – أنه يود أن تصل إليه مثل هذه النظرة، مهما فعل، ومهما أدار حياته. إلى ماذا احتاجت تلك المرأة حتى «تستحوذ» عليها نظرة المسيح؟ احتاجت إلى إنسانيتها فقط، رغم ما كان بها من جراح واهتراء – كما هي إنسانية الجميع في عمقها –. وعندما قابلت ذلك الرجل، حتى بكل الأخطاء التي ارتكبتها، انجذبت إنسانيتها له تماماً، إلى درجة أنه لم يكن هناك طريقة لإيقافها: فقد اجتازت المرأة عداء الآخرين واستنكارهم وذهبت في المائدة لغسل أقدام يسوع بدموعها. إن التماثل مع الإنجيل هو أحد أجمل الأشياء التي علمنا إياها الأب جوساني. ففي الواقع، غالباً ما نقرأ هذه القصص ونعتبرها كمسلمات، وننزع عنها قيمتها الواقعية والتاريخية والحيوية. ولكن، بعودتنا المرة تلو الأخرى إلى أحداث الإنجيل، بالتماثل مع الأحداث الموصوفة فيها، جعلنا الأب جوساني أن «نرى» – فيها – كيف تعامل يسوع مع الإنسانية الجريحة والمليئة بحدود أولئك الذين قابلهم.

لم يمنعه شيء. ولا شيء يمنعه الآن. هذه هي إنسانيتنا على وجه التحديد – التي عشناها كثيراً بضيق، لأن الأمور لا تسير وفق رغبتنا، لأننا لا نحبها، وبسبب القيود العديدة التي نجدها في داخلنا – التي يتعامل معها المسيح حتى في أعماقها، فهو يخاطب إنسانيتنا، وبدونها لن يجد طريق آخر لدخول حياتك وحياتي، ولن يجد نقطة اتصال. «إن الله وحده هو الذي يستوعب النقطة العميقة للضمير التي يكون فيها الإنسان إنسانيًا حقًا على الرغم من حياته وخطاياه. ففي النهاية، الفداء هو المسيح الذي يستمد أعمق ما في الإنسان ما يستحق أكثر من خطيئته "،[95] كما كتب فرانسوا فاريون. إن نظرة المسيح هي نظرة تقرأ دواخلنا وتقرأ أعماق رغبتنا في الامتلاء. وقد ذكر ذلك البابا فرنسيس مؤخراً بقوله: «لقد ولدنا وبداخلنا بذرة القلق. إذ أراد الله ذلك: قلق البحث عن الامتلاء، قلق البحث عن الله، ومرات عديدة حتى بدون معرفة أن لدينا هذا القلق. إن قلبنا في حالة من القلق وهو ظمآن إلى اللقاء مع الله. فهو يبحث عنه في كثير من الأحيان بالطرق الخاطئة: فيضيع، ثم يعود للبحث عنه ... ومن الناحية الأخرى، عند الله عطش إلى اللقاء، لدرجة أنه أرسل يسوع للقائنا حتى يواجه هذا القلق».[96]

لم يشعر أي إنسان بتأكيد ذاته بهذا الشكل الجذري كما حدث له بالنظرة التي دخل بها يسوع الناصري الإنسان في التاريخ ؛ ولم تسمع أي امرأة على الإطلاق أي شخص يتحدث عن ابنها بنفس الحنان الأصيل وبنفس التأكيد الإيجابي تماماً لمصيرها ، بعيداً عن أي نجاح يمكن تصوره وكذلك أي فشل. وبهذه النظرة الإيجابية، يقول يسوع للمرأة التي غسلت قدميه بالدموع: "مغفورة لكي خطاياك". عندئذ بدأ الحاضرون في القول فيما بينهم [إنه تمرد أمام شيء جديد يثير الشك والتساؤل]: «من هذا الذي يغفر الخطايا أيضاً؟ [إنهم لا يقولون ذلك باندهاش وتعجب، بَلْ إنهم يُرْفَضُونَهُ كأنهم يقولون: إنه مجدف] لكنه قال للمرأة [لم يستطع أي أحد أن يغير من موقفه تجاهها]: «إن إيمانك قد خلصك؛ فاذهبي بسلام!».[97] لم يعد بالإمكان اقتلاع هذه النظرة من على وجه الأرض: وبالتالي، لم يعد ما نقوله عن أنفسنا أو ما تقوله عن نفسك أو تقولينه عن نفسك هو الكلمة الأخيرة.

إن ما أنقذ خاطئة الإنجيل من العدم، لم يكن أفكارها أو قراراتها أوجهودها، بل حضوراً ممتلىء بشغف وبتفضيل لشخصها ولكينونتها إلى درجة أنه استحوذ على كيانها. لقد انقلبت مسيرة حياتها رأسا على عقب، وأحدث هذا اللقاء ثورة فيها: فلم تعد تهتم بنظرات الآخرين لها، لأن يسوع من خلال نظرته وحضوره بلحمه وشحمه قد عرف وحدد كامل كيانها. لم يسبق أن نظر إليها أحد في حياته مثل هذا الإنسان. وإلا لما ذهبت إلى هذا المنزل، ولا غسلت قدميه بالدموع وما جففتها بشعرها. يا لها من خبرة قد عاشتها، وكم كان مقدار اليقين بداخل تلك المرأة لتتحدى الفريسيين الجالسين إلى تلك المائدة وأمام المدينة بأكملها بهذه الطريقة! بدون هذا اليقين ، ينتهي بنا الأمر إلى الوقوع تحت رحمة تعليقاتنا وتعليقات الآخرين. وبدلاً من ذلك، تغلبت تلك النظرة على جميع أفكارنا وأفكار الآخرين ولا يمكن لأي قوة في هذا العالم القضاء عليها: إنها لم تزيل أفكارنا بل أوقفت قدرتها على إعاقتنا.

---

94 البابا بندكتوس السادس عشر، رسالة عامة للمؤمنين *Deus caritas est* ، ١٢.

95 F. Varillon، *Traversate di un credente*، Jaca Book، Milan، ٢٠٠٨، ص ٩٨

96 البابا فرنسيس في *عظته بكنيسة القديسة مارتا* في ٢٦ أبريل ٢٠٢٠.

97 لو٧: ٤٨-٥٠

لذلك يمكننا القول، مع فون بالتسار، أن الأمر يتعلق بـ « يقين لا يعتمد على أدلة ذكائنا البشري، ولكن على الدليل الواضح للحقيقة الإلهية: ليس بفهمنا المسبق لها؛ بل بإستحواذها على كياننا». فهذه «قضية حيوية لمسيحية اليوم»، كما يصر فون بالتسار Von Balthasar، لاهوتي مدينة بازل السويسرية. لن يكون للإيمان مصداقية بالنسبة إلى العالم الذي يحيط بنا إلا «إذا قصدناه كشيء ذو مصداقية، وبالتالي إذا لم يعني الإيمان [...]، أولاً وأخيراً، «إعتبار بعض الإثباتات حقائق» التي، لكونها غير مفهومة للعقل البشري، يمكن قبولها فقط بطاعة السلطة؛ فالإيمان، في الواقع، رغم كل تجاوز وسمو الحقيقة الإلهية، يقود الإنسان من خلال تلك الحقيقة الإلهية إلى فهم ماهية الله في الحقيقة، وبهذا الفهم (إلى جانبه) يقود الإنسان إلى فهم ذاته أيضاً».[98] استند يقين وإيمان تلك المرأة «على الدليل الجلي للحقيقة الإلهية»، من خلال نظرة يسوع التي لا مثيل لها، والتي شعرت بتأكيد إنسانيتها وباستحواذه الكامل عليها، وعلى خبرة توافق مع احتياجاتها الأساسية التي لم تعشها من قبل. إن هذا الدليل على الحقيقة قوي للغاية، كما أنه ساطع للغاية «كشف المجد هذا – كما يصر بالتسار – الذي لا يحتاج إلى مبرر آخر خارج ذاته».[99] إن الوعي نفسه بمدى حسم هذا الدليل على مصداقية الإيمان قد ميز الالتزام التربوي للأب جوساني منذ البداية: "كنت مقتنعاً بعمق بأن الإيمان الذي لا يمكن اكتشافه والعثور عليه في خبرة حياتنا الحاضرة، ومؤكداً لها ونافع لتلبية احتياجاته، ما كان للإيمان قدرة على المقاومة في عالم حيث كل شيء، *كل شيء*، قال ويقول العكس ».[100]

٣) حدث

في يسوع الناصري أصبح الله واحداً منا. «الكلمة صارت جسداً.»[101] ولكن لفهم ما نتحدث عنه، يجب علينا بالضرورة العودة إلى البداية والنظر بعناية إلى ما حدث. في الواقع، إن «معرفتنا المسبقة" غالبًا ما تغير فهمنا. «فلنضع أنفسنا في ذلك الزمن، حيث لم يكن هناك يسوع المسيح في الهواء، ولم يكن اسمًا معهوداً: فما رأوه هو إنساناً»، كان يسير في الطرقات، وكان يمكن للناس لقاؤه والتحدث معه. لقد كان يسوع حضوراً معاصراً لحياة بطرس وزكا العشار ومريم المجدلية. "فعند سماع هذا الانسان كان هناك بشرى جديدة للحياة؛ ولم يقل ذلك أحد لنفسه، بل كان يسمعه ويشعر به". حسنًا، «في مساء ذلك اليوم حدث لبطرس وزكا ومريم المجدلية شيء ما أصبح حياتهم كلها»: لقد صادفوا ذلك الانسان الذي «استحوذ على اهتمامهم» وجذبهم إليه. لقد كان هذا هو الحدث الحاسم بالنسبة لهم. لأنه في الواقع، يظهر في ذلك الرجل حضور «الأبدية والثبات والكينونة والمعنى وكل ما يستحق العناء، وأخيرًا أصبح هو الموضوع الذي من أجله صنع عقل الانسان ووعيه وكيانه. إن الثابت والدائم والشامل أصبح إنساناً! ».[102] وبالنسبة لنا نحن الذين أتوا بعد ألفي عام؟ وبنفس الطريقة يحدث لنا كذلك. بالتمام. ويؤكد ذلك الأب جوساني مخاطباً طلاب الجامعات: «ربما كانت اللحظة الصعبة القصيرة والدقيقة للغاية لإحساس بوعد للحياة هي التي قادتنا إلى هنا، بدون صخب الوعي الذاتي وبدون صخب النقد. ولكن هناك يوم في حياتكم حدث فيه لقاء يحمل في داخله كل المعاني وكل القيم وكل الرغبات وكل العدل وكل الجمال وكل ما تحبونه. لأن هذا هو الله الذي صار إنسانًا والله الذي صار إنساناً يصل إليك بيديه وبعينيه وبفمه وبالواقع المادي للبشرية. »[103] أي واقع؟ صحبة المؤمنين به الذين هم جسده السري. الانسان الذي قال: «أنا الطريق والحق والحياة»[104] قام من الأموات، أي أنه معاصر للتاريخ. «سأكون معك كل الأيام حتى نهاية العالم.»[105]

---

98 H.U. von Balthasar ، *تصور الشكل. مجد. جمالية لاهوتية* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٢٠ و ١٢٥.

99 *المرجع السابق*، ص. ١٢٦. راجع. DS ٣٠٠٨.

100 الأب جوساني، *المجازفة التربوية* ، ريتسولي ، ميلان 2014 ، ص. 20.

101 يو ١: ١٤.

102 الأب جوساني، ***هنا والآن*** (١٩٨٤-١٩٨٥)، دار بور للنشر، ميلانو ٢٠٠٩، الصفحات ٤٢٥-٤٢٧

103 المرجع *السابق*، ص. ٤٢٦.

104 يو ١٤: ٦.

105 مت ٢٨: ٢٠

أين نراه؟ وأين نستمع إليه؟ إن حضوره هنا والآن يتحقق مع ظاهرة ملموسة ومرئية وواقعية تتكون من أناس وصلتهم مبادرته وعرفوه: إنها واقع الكنيسة. « *تتحقق معاصرة المسيح للإنسان في كل الأزمان في جسده، أي الكنيسة.* »[106] «حتى عندما كان يسوع في خضم نشاط حياته الأرضية، اتخذ حدثه شكلاً لم يتم يتطابق فقط مع المظهر الجسدي لشخصه، ولكن مع مظهر حضور أولئك الذين آمنوا به، حيث أنه أرسلهم لينقلوا كلامه ورسالته وتكرار معجزاته لتحقيق الخلاص الذي كان *شخصه نفسه*».[107] إن المسيح حضور معاصر. إن إدراكنا لذلك يعني ضمنا نفس الخبرة التي حدثت منذ ألفي عام – كما وثقتها الرسالتان المذكورتان والمقطع الذي كتبه منكاريللي Mencarelli – أي أن التأثر بحضور إنساني مختلف يوقظ بشرى جديدة للحياة ويذهلنا لأنه يروي العطش الذي فينا إلى المعنى والامتلاء. واليوم يتعلق الأمر أيضًا بخبرة لقاء تذكرت فيه من قبل «أنه يتضمن كل المعاني وكل القيم وكل الرغبات وكل العدل وكل الجمال وكل ما أحبه». هذه هي الطريقة التي نختبر بها حضوره الآن: إذ أن تصادفنا مع «شيء آخر يجذبنا لأنه يتوافق مع احتياجات قلبنا، وبالتالي يمر عبر مقارنة وحكم العقل ثم يثير الحرية في وجداننا».[108] ولوصف حضور هذه الإنسانية المختلفة، يستخدم الأب جوساني كلمة «استثنائي». لا يعني بهذه الكلمة تفوق *الأداء* الفردي، أو غرابة أو انحراف عن المعهود، بل بالتحديد التوافق والمطابقة التي ذكرناها. يمكننا تعريف شيء ما على أنه استثنائي عندما يتوافق بشكل كاف مع التطلعات الأصلية للقلب، حتى لو لما يكن لدى الشخص وعياً واضحاً بذلك. لكن لماذا يجب تسمية «المتوافق» بـ «استثنائي»؟ لأن التوافق مع احتياجاتنا الأصلية الذي يجب أن يكون أمراً طبيعياً، لا يحدث عادةً. واليوم يمكننا أن نفهم ذلك بشكل أفضل من أي وقت مضى: لأن لدينا كل شيء ونستطيع الوصول إلى كل شيء، بكل معنى الكلمة، أكثر بكثير من ذي قبل بشكل لا يضاهى، سواء من حيث العلاقات والأشياء أو الخبرات، ولكن لا يوجد شيء من كل هذا قادر على الاستحواذ علينا حتى النهاية، وأن يجعلنا نختبر التوافق الذي يشعر قلبنا بالعطش إليه. لذلك، عندما يحدث هذا التوافق في لقاء معين، فهو يضع نفسه كشيء استثنائي. الحضور والوجه الذي نختبر من خلاله ذلك التوافق يتميز عن الآخرين لهذا السبب تحديداً. ونقول: «إنه استثنائي!»

والآن، حضور المسيح المعاصر لنا هو فقط الذي يمكنه إنقاذنا من العدم. فحضوره هنا والآن هو فقط الذي يمكن أن يكون رداً ملائماً على العدمية، وعلى الخلو من المعنى: إذن هو حضور لا نفهمه من الناحية الروحانية و «المثالية» المجردة، بل جسدياً وتاريخياً. المسيح ليس فكرة أو طريقة تفكير، بل هو حدث حقيقي يتفجر في حياتي: إذ ألتقي «بشيء يوجد بداخله شيء»[109] يجذب إليه كل كيانه: «يسوع المسيح، ذلك الانسان قبل ألفي سنة، الذي أخفى نفسه، بأن صار حاضرا تحت مظهر إنسانية مختلفة».[110] ويقدم لنا في رسالة أخرى توثيقاً حياً لذلك: «لم أكن أعتقد أنه وأنا على أعتاب الخمسين من عمري يمكن أن أولد من جديد. فقد عشت سبع وأربعين عاماً وأنا مقتنع بأن يسوع المسيح لم يكن «شيء» لا غنى عنه بالنسبة لي. وطوال هذه السنوات، سعيت وراء أهدافًا لا تستطع تحمل صدمات الزمن: في الجامعة وفي مهنتي وفي أسرتي. ففي كل مرة كنت أصل فيها إلى ما حددته مسبقاً من أهداف، كنت أشعر بعدم الرضا وكنت أواصل باستمرار البحث عن أهداف جديدة. على الرغم من أن حياتي ربما بدت جميلة لكثيرين، إلا أنني شعرت بأنني أتغذى على شيء لم يشبعني. كل هذا خلق أزمة عميقة في داخلي. فقد شعرت بأنني غير نافع وحتى علاقاتي مع الأصدقاء والزملاء والأحباء بدأت تصبح صعبة. أردت أن أكون وحيدا. وذات يوم، التقيت في المدرسة التي يدرس أبنائي فيها بشخص ذو عينين لامعتين. وكان يعاني أيضاً يعاني من مروره بوقت صعب بسبب مشاكل العمل، لكنه بدا هادئًا، وواثقًا من نفسه، في كلمة واحدة، كان سعيدًا. لم أكن أعرف ما الذي جعله هكذا، ولم أكن أعلم أنه من حركة الشراكة والتحرر.

---

106 يوحنا بولس الثاني، الرسالة العامة *سطوع الحقيقة*، ص ٢٥.

107 الأب جوساني، *لماذا الكنيسة* ، ريتسولي ، ميلان ٢٠١٤ ، ص. ٢٦.

108 الأب لويجي جوساني- ج. ألبرتو- J. براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سبق الاستشهاد به، ص. ٣٧ - ٣٨

109 الأب جوساني، *الطريق إلى الحقيقة هو خبرة* ، ريتسولي ، ميلان ٢٠٠٦ ، ص. ١٤٢.

110 الأب جوساني، «شيء يأتي أو لا»، في *منهج الإيمان*، Cooperativa Editoriale Nuovo Mondo، Milan ١٩٩٤، ص ٣٩

لقد ولدت صداقة قوية بيننا دفعتني إلى الرغبة في صحبته. ذهبنا في إجازة مع عائلاتنا ونما فضولي تجاهه. لقد بدأت في لقاء أصدقائه بانتظام الذين أصبحوا أصدقائي بعد ذلك. وبدأت المشاركة في الأعمال التي اقترحتها الحركة. وبدأت أصلي مرة أخرى وأذهب إلى القداس وأعترف. وفي بعض الأحيان كنت أتساءل: «لماذا تفعل ذلك؟» فأجبت على نفسي: "لأني أشعر في حال أفضل". وأندهش حتى اليوم من هذه الصداقة التي تنبع من محبة يسوع المسيح. في السابق ، كان لدي أصدقاء يجمعنا العمل والشغف بنفس الرياضة أو لملائمة ذلك لنا. لقد غيرتني هذه السنوات الثلاث ، وجعلتني أفضل. أولئك الذين عرفوني لفترة طويلة، كأصدقائي القدامى وعائلتي وزملائي لاحظوا فيا شيئًا مختلفًا. ربما ليس نفس النور الذي في عيون صديقي، لكني أعتقد أن بعض ومضات هذا النور تظهر أحيانًا في عيني أيضًا. لذلك أريد أن أظل على اتصالي بهؤلاء الأصدقاء "لتذكير أنفسنا بأن المسيح هو كل شيء" – كما قال الأب جوساني – للاعتراف بـ "من هو بيننا" و "لمساعدتنا بعضنا البعض على أن نعيش هذا الوعي، ونعيد تذكره حتى يصبح لنا شيئاً معتاداً".[111] هذه هي الطريقة التي تم من خلالها إيصال الإيمان ويمكن دائمًا ايصاله بها: بلقاء غير متوقع، يثير الرغبة ويحرك الشخص للتحقق من الوعد الذي يأتي به من خلال المشاركة في حياة الجماعة المسيحية. "بعد نهاية زمن الرسل، طوّرت الكنيسة الأولى نشاطًا تبشيريًا ككنيسة قليل نسبياً، ولم يكن لديها استراتيجية خاصة بها لإعلان الإيمان للوثنيين و [...] ومع ذلك أصبح زمنها فترة نجاح عظيمة للتبشير. لم يكن تحول العالم القديم إلى المسيحية نتيجة عمل مخطط له، بل كان ثمرة اختبار الإيمان في العالم حيث أصبح مرئيًا في حياة المسيحيين وفي مجتمع الكنيسة. ومن الناحية الانسانية، كانت الدعوة الحقيقية من خبرة إلى أخرى وليس أي شيء آخر، هي القوة التبشيرية للكنيسة الاولى. كانت جماعة حياة الكنيسة تدعو للمشاركة في هذه الحياة التي تنكشف فيها الحقيقة التي نبعت منها هذه الحياة. [...] فالتشابك بين حقيقة نابعة من ذاتها والضمان في حياة هذه الحقيقة يمكن أن يضفي بريقاً لذلك الدليل على الإيمان الذي يتطلع اليه قلب الإنسان؛ من خلال هذا الباب فقط يدخل الروح القدس الى العالم ".[112]

العدمية / المادية: هذه هي شروط التي تحدد وضعنا اليوم. وليس اليوم فقط، بل دائمًا، لأن العدمية التي نتحدث عنها ليست ظاهرة عرضية ، إنها احتمال دائم للنفس الانسانية، حتى لو تم استخدام كلمات مختلفة في عصور أخرى للإشارة إليها. بالنسبة للعدمية، أي إلى اللاشيء الذي يسودنا ، والذي نميل دائمًا للرضوخ لها، لا يمكن الرد عليها بمجرد خطب وقواعد وإلهاءات لأنها في حقيقة الأمر غير قادرة على جذبنا وعلى الاستحواذ على إنسانيتنا. وهذا ما يفسر إصرار البابا فرنسيس على خطر اختزال المسيحية إلى الغنوصية أو البيلاجية.[113] إن ما يستطيع الرد فقط على العدمية وعلى غياب المعنى هو جسد، ونظرة مجسدة في راهبة تبلغ من العمر ثمانين عامًا أو صديق، أمس مثل اليوم. "إنه المسيح فقط الذي يعتني بإنسانيتي."[114] إما أن أختبر اليوم حضوراً يعتني بإنسانيتي أو في نهاية الامر ليس هناك مفر، فلا الكلام ولا الأخلاقيات أو الالهاءات التي لدينا أيضًا يمكنها توليد ذلك الامتلاء الذي أتطلع اليه بعمق.

فبدون خبرة "انجذاب" الذات هذه فليس هناك مسيحية؛ ولا توجد مسيحية كحدث، أي حسب طبيعتها الأصلية، وبالتالي لا توجد إمكانية لتغيير طريقة تصور ومعاملة الناس والأشياء، ولا يوجد *تحول جذري* ولا عاطفة حقيقية. «وحتى يتعرف عليه، دخل الله حياة الإنسان كانسان، بهيئة بشرية، ولذلك صار فكر الإنسان وخياله ووجدانه كأنهم «توقفوا» بسبب انجذابهم إليه. إذ يأخذ الحدث المسيحي شكل «لقاء»: أي لقاء إنساني في الواقع اليومي العادي».[115] ولا يوجد شيء أكثر وضوحا للإنسان ولا أسهل للفهم من حدث يأخذ شكل لقاء.

---

111 الأب جوساني ، *عمل الحركة. أخوة الشراكة والتحرر*، القديس بولس، Cinisello Balsamo (MI) ٢٠١١ ، ص. ٢١٦.

112 الكاردينال راتسينجر، *النظر إلى المسيح* ، كتاب جاكا ، ميلان ١٩٨٩ ، ص ٣١.

113 أنظر. البابا فرنسيس ، الإرشاد الرسولي *إيفانجيلي Gaudium* ، ٩٤.

114 الأب لويجي جوساني - ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٨.

115 *المرجع السابق* ، ص. ٣٦.

إذن من الواضح لنا لماذا يكرر البابا فرنسيس عبارة «الله محبة» *Deus caritas est* : «ولن أكل من تكرار كلمات البابا بندكتوس السادس عشر التي تقودنا إلى مركز الإنجيل: «في بداية كونك مسيحياً، ليس هناك قراراً أخلاقياً أو فكرة عظيمة، بل لقاء مع حدث، مع شخص، يعطي للحياة أفقًا جديدًا، ومن ثم، اتجاهاً حاسماً لها» .[116] هذه هي طريقة الله، وهي الطريقة التي اختارها الله لإنقاذ الإنسان – وأنا وأنت وكل واحد منا – من العدم، من عدم إمكانية تحقيق الذات ومن الشك في أن كل شيء ينتهي إلى لا شيء ومن خيبة الأمل الكئيبة للذات ومن سهولة الاستسلام واليأس. «فكل شيء في حياتنا اليوم، كما في زمن يسوع، يبدأ بلقاء.»[117] لقد صار الله إنساناً ويسكن بيننا: هذه هي المسيحية ؛ فهي في الأساس ليست مذهب عقائدي أوأخلاقي، بل هي (الله المتجسد) الحاضر هنا والآن. والباقي – أي العقيدة والأخلاق – تأتي لاحقًا. «إن خالق كل شيء [أي الله، الأصل والمصير ومعنى الحياة] قد تماثل مع الانسان في عدم استقراره، ويتماثل [مرة أخرى] مع الانسان في عدم استقراره ويجعل نفسه مسموعًا وملموساً»،[118] كأناس مثلي ومثلك؛ بأجسادنا الهشة والضعيفة والممتلئون بالنقائص، ولكنه (الله الكلمة المتجسد) جذبنا إليه وحولنا إلى شيء آخر. إذا خلبتنا المسيحية، وإذا ارتبطنا بواقع معين ، فذلك لأننا رأينا أشخاصًا التزموا بشكل مختلف مع كل ما يواجه الجميع، بفرح وسلام – رغم الألم والإرهاق – الذي أردناه لأنفسنا، بلا مقابل وبنظرة إيجابية، حتى في مواجهة أكثر الظروف صعوبةً وتناقضاً، التي وجدنا أنفسنا ونحن "نحسد" ؛ أناس "منجذبون"، غيرهم الحدث المسيحي – الذي اتخذ شكل لقاء بالنسبة لهم أيضاً –، وهم شهود على حداثة الحياة التي تسبب بالمعنى الإنساني اضطراب في البيئة المحيطة بهم. لقد قدم طقس قداس القديس أمبروزيوس وصفاً دقيقاً لأصل ذلك الاضطراب: «سأجعل حضوري واضحاً في فرحة قلوبهم.»[119] عندئذ، يلاحظ الأب جوساني بقوله، إذا أصبح الله جسداً في يسوع، «يجب أن نكون في الجسد لنفهم يسوع. إنها خبرة تجعلنا نفهم يسوع. إذا أصبح الله، السر، جسداً وُلد من أحشاء امرأة، فلا يمكن فهم أي شيء من هذا السر إذا لم ننطلق من الخبرات الملموسة. لقد تجسد حتى نفهمه، ولذلك يجب أن نبدأ من الجسد». ويواصل: «إذا استبعدنا الجسد، ندمر المفارقة: وهذا الإيمان لن يهم أحدا بعد الآن»،[120] لأنه يصير خطاب مجرداً أو منظومة أخلاقية أوتعليمات للعمل بها، ولكنه لم يعد يجذبنا. إنها فقط الخبرة الإنسانية التي تسمح لك باكتشاف حضور المسيح وفهم علاقتك به.

٤) يكفي الاهتمام الصادق لمعرفة الحقيقة

إن معرفة حضور المسيح المعاصر أمر سهل: فالحضور الذي يجذبنا ويجعلنا نختبر التوافق الذي تحدثنا عنه هو نادر الحدوث. لذلك، من السهل معرفته كما حدث مع بطرس وزكا العشار والمرأة السامرية ومريم المجدلية. إنه سهل، لكنه ليس أمر مسلم به. فقد رأينا ذلك مع يسوع أيضاً. فلنفكر في الفضيحة وما تبعها من نفور أولئك الذين رأوه يذهب إلى منزل زكا العشار.
ما الذي كان بالضرورة في بطرس وفي زكا وفي المرأة السامرية وفي مريم المجدلية وفي الآخرين الذين قابلوه، حتى استطاعوا إدراك ما هو جديد ومختلف وفريد في شخص المسيح؟ إنه الإنتباه المخلص والنظرة المفتوحة على مصراعيها. ففي الواقع، «إن الحقيقة النهائية هي مثل العثور على شيء جميل في طريقنا: إذ لا يمكننا رؤيته والتعرف عليه، إلا إذا كنا منتبهين. إذن المشكلة هي ذلك الانتباه».[121] إنه في متناول الجميع وهذا شيء يحررنا، لأنه يخلي المجال من اعتراض متكرر يخفي الانفصال عن واقع الحياة: «إنني لست قادراً أولست ذكياً أو إنني أفتقر إلى الوسائل لفهم». يكفينا الاهتمام لإدراك الحقيقة.

---

116 البابا فرنسيس، الإرشاد الرسولي *إيفانجيلي*، ٧

117 البابا فرنسيس، *خطاب لحركة الشراكة والتحرر*، بساحة القديس بطرس، ٧ مارس ٢٠١٥.

118 الأب جوساني، *الحقيقة تولد من الجسد*، بور، ميلانو ٢٠١٩، ص. ١١٥.

119 «يا شعب صهيون، ها هو الرب يأتي لخلاص الأمم: وسيجعل الرب مجده مسموعاً في فرح قلوبكم» (صلاة من الأحد الرابع من زمن المجيء من طقس القداس الإلهي للقديس أمبروزيوس *من المجيء إلى السبت المقدس*، ميلانو ١٩٤٢، ص. ٧٨).

120 الأب جوساني، *هل من الممكن (حقًا؟) أن نعيش هكذا؟* ، بر ، ميلان 2011 ، ص. ٢٠٧ و ٤٨١

121 الأب جوساني، *الحس الديني* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٤٥.

بالطبع، ليس من السهل أبدًا الانتباه، كما كتبت سيمون فيل: «هناك شيء في نفوسنا يتجنب الانتباه الحقيقي بعنف أكثر بكثير من الجسد الذي ينفر من التعب. [...] فالانتباه هو تعليق لفكرنا بتركه متاحًا وخاليًا ومنفتحاً على موضوع الإنتباه».[122] ولكي ندع فكرنا منفتحاً على موضوع انتباهنا، بدون أن ننغلق على مقاييسنا، «للانفتاح على جميع العوامل المشاركة"،[123] نحتاج إلى بصيص من العاطفة لأنفسنا، ومن الاهتمام بمصير وجودنا؛ فهذا البصيص، حتى لو وُضعناه في قاع أنفسنا، سيسمح لنا بأن نقبل بأننا محبوبين، و"بالتجاوب" مع حضور يؤكد كياننا ويهتم بنا. فبطرس وزكا والمرأة السامرية ومريم المجدلية لم يخمدوا إنسانيتهم: بل كان حضور هذا الإنسان استدعاء وصدى وتوافق واحتضان لإنسانيتهم وأثار في نظراتهم ظمأ وتطلع لا يهدأ وألم أيضاً. من المؤكد أن حضور يسوع الاستثنائي هو الذي أثار وحث فيهم هذه النظرة المنفتحة، لكن كان عليهم أن يتجاوبوا ويتبعوا تلك الاستثارة وذلك الحث، إذ لم يحدث فيهم شيئاً سحريًا أو ميكانيكيًا (لأن ما حدث بهذه الطريقة كان شيئاً غريبًا على الإنسان). وحتى ندرك الحضور الذي يجلب شيئاً جديداً في الحياة، يجب إذن وجود انتباه وعقل ملتزم وجدانياً وإنسانية حية. إذ لا يمكن أن يكون هناك انتباه وانفتاح للعقل بدون وجود تأثر عاطفي ووجود اهتمام. إن النظرة المنتبهة هي دائما نظرة مهتمة. «إذا لم أكن مهتمًا بشيء معين، فأنا لا أنظر إليه: وإذا لم أنظر إليه، فلن يمكنني معرفته. وحتى أتعرف عليه، علي أن أنتبه له. كلمة الانتباه تعني باللغة اللاتينية، «مشدود إلى ...». إذا كان ذلك يهمني، فإنه يثير إعجابي، سأكون مشدوداً إليه ".[124]

٥) اعتراف اسمه إيمان

إذن هذا الانتباه هو بداية الاعتراف بطبيعة ما هو أمامنا. في الواقع، عند إدراكنا لحضور إنسانية مختلفة – عندما يحدث ، وأين يحدث – يكون من الصعب قمع السؤال حول طبيعة ما نراه. فأمام حضور يسوع، ثار السؤال في الذين سمعوه يتكلم ورأوا أعماله: «من هذا الرجل؟». سؤال غريب. إن ما أثار هذا السؤال هو اختلافه الغير قابل للاختزال. «إنهم يعرفون من أين أتى ويعرفون أمه وأقاربه ويعرفون كل شيء عنه، لكنه أظهر قدرة فاقت تصوراتهم، وكانت شخصيته عظيمة ومختلفة لدرجة أن السؤال كان له معنى مختلف: من عساه هذا الرجل؟ "[125] إن نفس السؤال ينبع داخلنا اليوم في حضور أشخاص صادفناهم وعرفناهم وترددنا عليهم وأصبحوا أصدقائنا: «من أنت ، لماذا أنت هكذا؟» يبرز السؤال بسبب الطبيعة الاستثنائية لحضورهم، وهو استثناء واضح في خبرتنا. وبهذه الطريقة يتم توصيل المسيحية الآن كما كان في الماضي. لقد أحسن قول ذلك هو الرسالة التي استشهدت بها للتو للصديق الذي في الخمسينات من عمره. إن ظهور السؤال في الواقع هو عرض لنفس «المشكلة الجسيمة» التي طرحت نفسها على الأشخاص الذين تعاملوا مع يسوع. كما يلاحظ البابا فرنسيس: «إن الشهادة تثير الإعجاب، والإعجاب يثير الأسئلة في أولئك الذين يرونه. ويتساءل آخرون: لماذا ذاك الشخص هكذا؟ من أين تأتي له هبة الرجاء ومعاملة الآخرين بالمحبة؟ ».[126]

هل ينظر إليك الجميع بنفس الرقة والحنان؟ هل ينظر إليك الجميع بنفس المجانية؟ هل ينظر إليك الجميع بنفس الشغف لمصيرك؟ هل كل شيء متساوي؟ لهذا السبب، عندما يواجه المرء اختلافاً لا مثيل له – كما وجد الكاتب منكاريللي نفسه أمام الراهبة – لا يسع المرء إلا أن يسأل السؤال: "من هو هذا الرجل؟" من هنا، من ردة الفعل المدهشة هذه، التي تثير سؤالا لا يمكن قمعه، تبدأ مسيرة المعرفة والاعتراف الذي نسميه الإيمان.

---

122 سيمون فيل ، *انتظار الله*، روسكوني ، ميلانو ١٩٧٢ ، ص. ٧٥ - ٧٦

123 الأب جوساني ، *الحس الديني* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٧٦. ويلاحظ المؤلف: «على أي حال، إن تربية الحرية على الانتباه، أي على الانفتاح على جميع العوامل المشاركة، وعلى القبول، أي الاحتضان الواعي لما يأتي أمام عيوننا، هو القضية الأساسية لمسيرة الإنسان". لذلك هو يطرح أيضًا المشكلة الأساسية المتمثلة في *تربية* الحرية على الانتباه.

124 *المرجع السابق*، ص. ٣٩.

125 إن المسيح هو صحبة الله للإنسان - إعلان عيد الفصح ١٩٨٢، حركة الشراكة والتحرر.

126 فرنسيس، *بدونه لا يمكننا فعل شيء* ، LEV، مدينة الفاتيكان ٢٠١٩، ص. ٣٧.

دعونا ننظر كيف ظهر ذلك في أول من التقوا بيسوع. نحاول نضع أنفسنا في أحد مشاهد الإنجيل العديدة، لمقارنة أنفسنا بالديناميكية المعرفية التي تنبثق عن القصة. وذهب يسوع مع التلاميذ إلى منطقة قيصرية. وفي الطريق، يتوقف عند نقطة معينة ويسألهم: «ماذا يقول الناس عن من أنا؟» ونظراً لمفاجأتهم بهذا السؤال، حاولوا إعطاء بعض الإجابات: «يقول البعض يوحنا المعمدان والبعض الآخر إيليا والبعض الآخر أرميا أو أحد الأنبياء». عند هذا الحد، يصبح السؤال مباشراً وشخصيًا: «ولكن بالنسبة لكم من أنا ؟». أول من أجاب هو بطرس، بطريقته المندفعة في رد فعله: "أنت المسيح ابن الله الحي".[127] كيف استطاع أن يقول هذه الكلمات؟ لا يقول بطرس شيئًا فكر فيه، أو توصل إليه بقدرته على الفهم ؛ إنه يكرر ما سمعه من يسوع نفسه. إنها ليست كلماته أوإنجازاته. لماذا يكررها إذن؟ ما الذي يجعل تكرارها معقولاً تمامًا، حتى لو لم يعي معناها كاملاً؟ إن اليقين الذي توصل إليه بطرس عن هذا الانسان، والخبرة التي مر بها في علاقته به والتي أوضحت أنه «إذا لم أستطع الوثوق بهذا الانسان، فلا يمكنني حتى الوثوق بنفسي!».

٦) الحرية والثقة

لماذا كان على بطرس الثقة بيسوع ("إذا لم نؤمن بهذا الرجل فلا يمكننا حتى أن نثق بأعيننا")؟ في البداية، ينبغي التأكيد على أن لدينا القدرة على التيقن من الآخر ونفس القدرة على الانتباه لحياته. من استطاع أن يفهم أنه يجب الوثوق بيسوع؟ الأشخاص الذين تبعوه وكانوا معه ، وليس الحشد الذي ذهب للشفاء، لكنهم لم ينخرطوا في مشاركة حيوية. بالتعايش والمشاركة فقط يمكن أن تتراكم العلامات الضرورية للوصول إلى اليقين حول شخص آخر، حتى نصل إلى القول بكل معقولية: "يمكنني الوثوق به."
لكن فهم العلامات وتفسيرها يتطلب الحرية. والعلامات لا «تفرض» النتيجة التي تؤدي إليها أيضا. «فالحرية تلعب دورها في هذا المجال الذي نطلق عليه علامة. [...] فالعلامة هي حدث يجب *تفسيره* ».[128] لذلك، أمام شخص يسوع نفسه، كان هناك تنوع في التفسيرات بين الناس. وأمام العلامات، تظهر الحرية على السطح.[129] بالنسبة للكثيرين، يمثل وجود الحرية اعتراضًا، يُنظر إليه على أنه شيء يثقل الحياة أو يضعف حقيقة النتيجة التي تم التوصل إليها. في محاولة لتوضيح لصديق شاب لي أنه لا يمكننا فقط توفير الحرية، ولكنها خير لنا، فقد قدمت له مثالاً. "فقلت له: تخيل أنك بعد أن أمضيت بضع سنوات مع صديقتك وبعد رؤية العديد من العلامات على كم أن كل منكما صالح للآخر، فقررت أن تطلب منها صراحة: «هل تريدين الزواج مني؟". وعند القيام بذلك، هل لديك أي خوف؟ " فيجيب: «أعتقد ذلك حقا». فأرد عليه «كيف وأن كل شيء واضحًا لك بالفعل؟" فيؤكد على الفور: «لأنه يمكنها أن ترفض». «إذن، ستكون خائفاً لأنك لا تعرف ما إذا كانت كل هذه العلامات ستكون كافية لصديقتك لتقول نعم، لأنك معرض لتفسير"ها " للعلامات، أي لحريتها. هل الأمر هكذا؟» فأكد لي «نعم كذلك» . عندئذ سألته: «هل تفضل أن يكون كل شيء ميكانيكيًا أو آلياً، حتى لا تتعرض لمجازفة حريتها، لتتجنب الخوف، أم تفضل المخاطرة، بأن تقول نعم بحرية؟» وهو: "إنني أفضل بلا شك أن تقول لي ذلك بحرية". فأضفت: «وهل ربما تعتقد أن الله له مذاقاً أقل منك؟ والله أيضاً يفضل من يقول له «نعم» بحرية». ومؤخراً قام البابا فرنسيس باستدعاء ذلك الى ذاكرتنا بقوله: «كيف يتصرف يسوع؟ [...] إنه يحترمنا، ويحترم وضعنا، لا يستمر. [...] إن الرب لا يسرع الوتيرة، لأنه يسير دائمًا على وتيرتنا، [...] وينتظر حتى نخطو الخطوة الأولى».[130] هذا لا يعني أنه لا يعطينا الإشارات، كل العلامات التي نحتاجها، لكننا نبقى أحراراً أمامها. لقد خلقنا الله أحراراً وامتثل بطريقة ما لقرار حريتنا، لأنه لا توجد مقارنة بين نعم قالها الإنسان بحرية وبين رضوخ دون ممارسة واعية للحرية. فختمت بقولي: "إذا لم يكن «قبولها» هو ثمرة حريتها، فلن تجعلك تنفجر من الفرح". كم هو حاسم أن ندرك أن حريتنا ليست تعقيدًا، بل هي هبة! لذا فالحرية متضمنة في ذلك التفسير للعلامات التي تسمح لنا بالوصول بمعقولية كاملة إلى اليقين بأنني أستطيع الثقة بالآخر. فبسبب هذه الثقة، قال بطرس الكلمات التي قد سمعها من يسوع.

---

127 راجع مت ١٦: ١٣ - ١٩

128 الأب جوساني، *الحس الديني*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٧١.

129 حول الحرية في فعل الإيمان، راجع. DS 3035.

130 البابا فرنسيس في *عظته بكنيسة القديسة مارتا* في ٢٦ أبريل ٢٠٢٠.

الإيمان ليس القفز إلى الهاوية، وليس فعل نقوم به بدون أي عقلانية. «الإيمان هو الاعتراف بحقيقة ما قاله الحضور التاريخي عن نفسه». «لقد قال إنسان عن نفسه شيئًا قبله الآخرون على أنه حقيقي وأنه الآن، بالطريقة الاستثنائية التي لا تزال تصلني بها تلك الحقيقة، أقبله أنا أيضًا. يسوع هو إنسان قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة". [...] إن انتباهنا لما يفعله ويقوله هذا الانسان يصل الى درجة أن نقول: "أنا أؤمن بهذا الانسان"، وقبول حضوره بالتأكيد على حقيقة ما قاله، هذا هو الإيمان. إن الإيمان هو فعل عقلاني تحركه الطبيعة الاستثنائية لحضوره الذي يدفع الإنسان إلى القول: «أنا أقبل ما يقوله ذلك الانسان الذي يتحدث بصدق ولا يقول الأكاذيب.»[131] وكما يقول التعليم المسيحي، يشير «*"الإيمان" الى مرجع مزدوج: إلى الشخص وإلى الحقيقة ؛ إلى الحقيقة للثقة الممنوحة للشخص الذي يؤكدها* ».[132] الإيمان هو الاعتراف "بشيء" – الحضور الإلهي في الإنسان – الذي يتجاوز قدرة العقل على الاستيعاب، والذي لا يستطيع العقل وحده تعريفه، ومع ذلك هو اعتراف معقول تمامًا ، يفسر ما هو أمام عينيي، والخبرة التي أعيشها. ويلاحظ بالتسار أن هناك "علاقة حميمة بين الإيمان وخبرة تحقيق الذات".[133] «إذا كان لدينا صدق الاعتراف، وبساطة القبول وعاطفة التعلق بهذا الحضور، فهذا هو الإيمان. الصدق والبساطة كلمتان متماثلتان. أن تكون "بسيطًا" يعني النظر إلى شيء مباشرةً، دون إدخال عوامل غريبة مستعارة من الخارج. [...] يجب عليك [...] أن تنظر إلى الحدث ببساطة، أي أنه عليك أن تنظر إلى الحدث بما يقوله وبما يوصله إلى العقل وإلى القلب بدون إدخال عوامل خارجية لتقييمه ليست لها علاقة به ".[134] يمكننا القول بأن البساطة تخضع العقل إلى الخبرة بدون إدخال أي شيء غريب عليها. الطريقة التي تحدث بها الأب جوساني عن ذلك أمام البابا في ساحة القديس بطرس في عام ١٩٩٨ لا تزال محفورة في ذاكرتنا: "إنها بساطة القلب التي جعلتني أشعر وأعترف كم أن المسيح شخصية استثنائية بتلك التلقائية اليقينية، كما يحدث للدليل القاطع الغير قابل للتدمير لعوامل ولحظات الواقع، التي دخلت إلى أفق شخصنا وتدهشنا حتى في صميم قلبنا".[135]

---

131 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٣٤ - ٣٥

132 *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* ، رقم. ١٧٧.

133 H.U. von Balthasar ، *تصور الشكل. مجد. جمالية لاهوتية* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١١٩.

134 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٤١ - ٤٢

135 *المرجع السابق* ، ص. ٨.

الفصل الرابع

طريق يدوم مدى الحياة

بمجرد أن حدث اللقاء وعشنا خبرة الانجذاب، عندما "أوقفنا" حضور إنساني مختلف، عرفنا فيه – كل واحد حسب زمنه وقصته – حضور المسيح هنا والآن بعد أن بدأنا نرى الثمار في حياتنا، قد يبدو لنا أننا وصلنا، وبالتالي يمكننا التوقف عن المسير. يجب أن نستسلم لحقيقة أن الأمور ليست كذلك. فاللقاء الذي يتجدد ويتكرر حدوثه باستمرار هو الانفتاح المستمر لطريق لا يمكننا التوقف عن السير فيه. «هذا" اللقاء "الذي أحدث نوعا من الدخول المفاجئ في حياتنا يصبح نقطة البداية *لمسيرتنا* [...]. إن كل ما أعطي لنا يصبح نقطة بداية للبحث والعمل المكثف وليس ديناميكية للتملك على الإطلاق، بل مخاض لرغبة لا تتوقف عن التعلم "[136].

١) ضرورة المسيرة

بمجرد أن نتوقف لاعتقادنا بأننا امتلكنا ما أعطي لنا، يغزونا أيامنا الشعور بالثقل والجفاف. فبدلاً من الازدهار، نجد العشب الجاف في أيدينا. ونرى العدم يتسلل من جديد إلى نسيج زمننا. ونظل في حالة من المفاجأة وخيبة أمل. كيف يحدث هذا الجفاف؟ في تلك اللحظات، نشعر أكثر من أي وقت مضى بكلمات إيتي هيليسوم: "تجمد قلبي مرة أخرى ولم يرد أن يذوب: انسدت كل القنوات وعقلي محبوس بين فكي كماشه."[137]

ماذا يحدث لنا؟ ماذا قال راتسينجر عن القديس أغسطينوس: «عندما تحول واعتنق المسيحية في حديقة بالقرب من كاسيشاكو، فهم أغسطينوس التحول مرة أخرى حسب المنظومة الفكرية للفيلسوف المبجل أفلوطين وفلاسفة الأفلاطونية المحدثة.. فقد اعتقد أن حياة الخطيئة الماضية قد تم تجاوزها بشكل نهائي. وأن التائب (ومعتنق الدين الجديد) أصبح من الآن فصاعداً شخصاً جديداً ومختلفاً تماماً، وأن مسيرته التالية ستكون في صعود مستمر إلى الارتفاعات الأكثر نقاءً بالقرب من الله، وهو شيء مثل ما وصفه القديس غريغوريوس النزينزي في *De vita Moysis* : «تماماً مثل الأجسام، فبمجرد دفعهم دفعة واحدة إلى أسفل، حتى بدون المزيد من الدفع، تقوم بإغراق نفسها ..، ولكن الروح التي تحررت من الشهوات الأرضية تنطلق في الاتجاه المعاكس إذ تعلو باستمرار فوق نفسها بحركة تصاعدية سريعة ... في رحلة طيران متجهة دائماً نحو السماء»."[138]

حتى بدون استخدامنا لهذه الكلمات في أي وقت مضى، فإننا في كثير من الأحيان ، ربما دون التنبه لذلك، نتصور ما حدث لنا – اللقاء، "التغيير الجذري" – حسب نماذج مستعارة من أماكن أخرى، بعيداً عما نعيشه. «لكن الخبرة الحقيقية للقديس أغسطينوس كانت مختلفة: إذ كان عليه أن يتعلم أن العيش كمسيحي يعني بالأحرى السير في طريق يزداد مشقة بكل ما فيه من أفراح وأتراح. لقد تم استبدال صورة الصعود بصورة *طريق* أو مسيرة من المتاعب والمشقات لكن تعزينا وتساندنا لحظات من النور يمكننا تلقيها من حين إلى آخر . التغير الجذري هو مسيرة تدوم مدى الحياة. لذلك الإيمان هو نمو *دائم*، ونضوج للروح تجاه الحقيقة التي "هي حميمية لنا أكثر مما نحن لأنفسنا"."[139]

---

136 De Certeau، أبداً بدون الآخر، Qiqajon - Community of Bose، Bi) Magnano) ١٩٩٣، الصفحات ٢٦ - ٢٧

137 هيليسوم ، "٤ سبتمبر ١٩٤١"، *يوميات. الطبعة الكاملة* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٥٣.

138 *خطاب نيافة الكردينال* جوزيف راتسينجر *بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الكاردينال* جون هنري نيومان، روما ، ٢٨ أبريل ١٩٩٠.

139 *استشهاد من نفس الخطاب المذكور أعلاه.*

يدلي الكاردينال راتسينجر بهذه الملاحظات بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة جون هنري نيومان ، للتأكيد على هذا المفهوم المختلف والصحيح للتحول الجذري الذي كان مناسبًا للكاردينال الإنجليزي ، والذي أصبح الآن قديس: "لقد عرض الكاردينال نيومان من منطلق فكرة التطور أن خبرة تغيره الجذري لم تنتهي أبدًا، وبذلك قدم لنا تفسيرًا ليس لمسيرة العقيدة المسيحية فقط ، بل وللحياة المسيحية أيضاً. يبدو لي أن العلامة المميزة لمعلم الكنيسة العظيم هي ما يعلمه ليس بفكره وخطبه فقط، ولكن أيضًا بحياته، حيث يتداخل فيها الفكر والحياة ويحدد كل منهما الآخر. إذا كان هذا صحيحًا، فإن نيومان ينتمي حقًا إلى معلمي الكنيسة العظام، لأنه في نفس الوقت يلمس قلوبنا ويضيء أفكارنا».[140] ينبغي أن نحفظ مساهمة الكاردينال راتسينجر الثمينة الواردة في هذا المقطع ونحولها الى ثمار: "إن التغير الجذري هو مسيرة، طريق يدوم مدى الحياة" ؛ "والإيمان هو نمو دائمٌ . يردد بيغي هذه الكلمات بقصيدته النثرية الملحة: «لا شيء مكتسب هو مكتسب إلى الأبد. وهذا هو نفس حال الإنسان. وهو أعمق حال المسيحي. إن فكرة الاستحواذ الأبدي ، فكرة الاستحواذ النهائي التي لم تعد موضع خلاف هي الأكثر تناقضًا مع الفكر المسيحي. إن فكرة الهيمنة الأبدية والنهائية التي لم تعد موضوعا للنقاش هي أكثر الاشياء تناقضًا مع مصير الإنسان في منظومة الفكر المسيحي ".[141] حتى المعمودية ، التي تقدم أيضًا شيئًا جديدًا بشكل لا يمكن اختزاله ونهائي لنا ، والتي تحدد الخط الفاصل بين ما قبل وما بعد، ليست سوى بداية: بداية الجهاد الروحي الذي يقوده المسيح للدخول الى وجودنا، و"غزوه" وبالتالي تحقيق ذواتنا. بالمعمودية، "التي تدعو الإنسان إلى فهم وقبول كونه جزءًا من حدث المسيح" – تظهر المعمودية في الكنيسة أنها "مرتبطة دائمًا بالإيمان: [...] فالرسل ومعاونيهم" يقدمونها "إلى أي شخص يؤمن بيسوع»[142] – "فيولد انسان مختلف وأناس مختلفين".[143] لكن تلك "البداية المؤرخة يمكن أن تُدفن أيضًا تحت غطاء سميك من الأرض أو في قبر للنسيان والجهل" ، كما يحدث للعديد من الناس. ومن خلال لقاء "صحبة مسيحية حية"[144] ندرك مدى تأثير المعمودية التي نتفاجئ بثمارها في حياتنا. ومن خلال الانتماء إلى حياة هذه الصحبة تنمو فينا نعمة المعمودية. ومرة أخرى، يتضمن ذلك مسيرة حياتية. حتى أولئك الذين تم اختيارهم بفعل المعمودية، يمكنهم في الواقع "أن يغرقوا في محيط العالم الموحل: مستسلمين للنسيان، بعدم عيش الذاكرة التي هي الوعي بحضور المسيح، الذي هو حدث حقيقي في حياة الانسان".[145]

إذن، ليس هناك انقطاع للمسيرة. لكن هذا الدليل بأن التغير الجذري هو طريق يدوم مدى الحياة وأن الإيمان هو نمو دائم، يمكن أن يقودنا إلى الاستسلام، بدون إدراك منا بالكاد، لإغراء: ألا وهو تغيير المنهج، أي – أمام الحياة وحاجاتها الملحة وتحدياتها الشخصية والاجتماعية – باستبدال اللقاء بشيء آخر. هذا يعني أن الإغراء هو اعتبار الحدث المسيحي والإيمان كأمور مسلم بها، ثم نركز اهتمامنا على شيء آخر: فنسعى لتحقيق حياتنا في مكان آخر وليس داخل الحدث الذي جذبنا. لهذا السبب يكتب الأب جوساني: " الحدث " هو [...] الكلمة التي يصعب فهمها وقبولها بالعقلية الحديثة وبالتالي يصعب على كل واحد فهمها أيضاً [...]. إن أصعب شيء يمكن قبوله أن الحدث هو ما يوقظنا لأنفسنا، إلى حقيقة حياتنا، إلى مصيرنا، إلى الرجاء وإلى الأخلاق».[146] وهكذا ينتهي بنا المطاف إلى البحث عن ملاذ وسند في شيء من تفكيرنا وصنعنا، وهو في رأينا – حتى لو ظل هذا ضمنيًا – الأكثر قدرة على مهاجمة العدم المحيط بنا والذي يلمح بوجوده داخلنا.

---

140 *استشهاد من نفس الخطاب المذكور أعلاه.*

141 الفصل. Péguy ، "مذكرة مشتركة عن ديكارت وفلسفة ديكارت" ، في Id. ، *ديكارت وبرغسون* ، Milella ، Lecce ، 1977 ، ص. ٢٥٤ - ٢٥٥

142 *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* ، رقم/ ١٢٢٦

143 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٧٩.

144 *المرجع السابق*، ص. 80.

145 *المرجع السابق*، ص. ٨٣ - ٨٤

146 *المرجع السابق*، ص. ٣٠ - ٣١

لكن لماذا نتدهور، وبعد الانبهار الأول، نجد أنفسنا أحياناً عالقين في صراع ينهك قوانا؟ لماذا نغير المنهج؟ علينا إجراء تشخيص أولي . إننا بدلاً من أن نختار التركيز على اللقاء، نركز على ما يبدو لنا أسهل في التحكم به وأكثر قدرة على تحقيق ذواتنا وإن كان بطريقة غير واضحة في الغالب، ونقوم بتشجيع ذلك وتسهيله بالعقلية المحيطة بنا والتي تشبعنا بها. «إننا منغمسون في واقع "دنيوي" يتعارض مع ما حدث لنا: يحتاج إلى حدث المسيح، ويحتاج إلى أن نشهد له ونعيشه، ولكن كوعي وعاطفة، هو غريب تماماً ومعارضاً للشخصية الجديدة، و"للخليقة الجديدة" الذي يعطيها المسيح البداية.»[147] فالتناقض بين الجديد الذي قدمه حدث المسيح والسياق التاريخي الذي نحن فيه يتحدى المسيحي المعمد بلا هواده. كيف يمكنه عدم الاستسلام؟ فقط بفضل الحضور الملموس والمستمر للسر الذي صار جسداً، الذي يمكن اختباره من خلال واقع مسيحي حي. وبعيداً عن هذا الحضور الملموس والمستمر للمسيح، والذي يشملنا من خلال تفضيل بشري («انزل يا زكا بسرعة من الشجرة، لأني آتٍ إلى بيتك")، فكل واحد منا، على الرغم من قبوله لسر المعمودية ومر بخبرة هزيمة في لحظة معينة وسط صحبة الكنيسة، يبقى وحده في مواجهة رغباته، وتحت رحمة قوى وإغراءات السلطة، وصور تحقيق الذات التي يعطيها السياق كل يوم التي يعتبرها صوره هو سواء بوعي أو بلا وعي. ولكن: إذا كان صحيحاً أنه في غياب رباط حاضر بصحبة المسيح المستمرة، من خلال الوجوه الانسانية التي يستخدمها، فمن الصعب، إن لم يكن من المستحيل ، عدم الاستسلام للعقلية التي تحيط بنا، فمن الصحيح أيضًا أن انغماسنا في صحبة مسيحية حية لا يضمن آلياً خطر الاستسلام لإغراء استبدال الحدث الذي التقيناه بشيء آخر، ووضع رجائنا في آخر، والعودة إلى تخيل طريق الامتلاء انطلاقاً من مواردنا الخاصة. هذا هو إغراء اليوم كما كان في البدء، وسيظل هكذا عبر التاريخ، والاستسلام له هو ما يشكل في النهاية «الخطيئة». وتلاحظ ذلك ماريا زامبرانو بطريقتها الخاصة، بتوجيه نظرها إلى الأصل: "إذا التزمنا بقصة سفر التكوين المقدسة، عندما استسلم [آدم] للإغواء الواعد للمستقبل –" ستكونون مثل الآلهة "– ليس بالعطش إلى السعادة، بل على العكس، بتجنب السعادة التي كانت تغمره للسعي بحثاً عن خليقة خاصة به، من صنعه، وحتى لا يتوجب عليه التفكير فيما كان يعرض عليه، كي يهرب من الحضور الخالص للكائنات التي يعرف اسمها، ولكن لا سرها».[148]

كل واحد مدعو لرؤية ما يحدث في حياته الشخصية أو الجماعية عندما ينصاع إلى إغراء استبدال الشيء الجديد المولود من السر الذي صار جسداً بخليقة لنا فقط مع جزء منها من صنعنا.

٢) إغراء إثبات الذات

إن إلقاء نظرة على التاريخ الذي نشأ كنتيجة للهبة الإلهية التي منحها الله للأب جوساني يمكن أن تساعدنا بطريقة لا تقدر بثمن في فهم العوامل التي تدخل في مسيرة الحياة المسيحية. في المرحلة التاريخية الصعبة في السنوات التي أعقبت أحداث عام ١٩٦٨، في خضم الضغوط المستمرة الآتية من السياق الثقافي والاجتماعي والسياسي، والتي، من بعض النواحي، تشبه تلك التي نحن معرضون لها اليوم، وصف الأب جوساني بدقة الإغراء الذي نتحدث عنه. نحن في عام ١٩٧٥، لكن الملاحظات التي أدلى بها لمجموعة من البالغين من ميلانو، الذين اجتمعوا في قاعة المعهد الموسيقي للاحتفال بيوم بداية العام الجديد المعتاد،[149] صالحة كما هي لنا اليوم. يستنكر الأب جوساني في واقع الحركة "الفشل" – جفاف الخبرة، الحيرة والقلق – ويعزوها إلى "الافتقار إلى المنهج وغياب الانتباه".

147 *المرجع السابق*، ص. ٨٣.

148 ماريا زامبرانو، *شياري ديل بوسكو*، برونو موندادوري، ميلان ٢٠٠٤، ص. ٧١.

149 نشير إلى التجمع التقليدي في بداية السنة الاجتماعية لأعضاء حركة الشراكة والتحرر بعد العطلة الصيفية.

كيف نفهم هذا القصور في المنهج وفي الاهتمام فهذا النقص في واقع الأمر هو " جوهر المسألة، أي الجذر، الذي ينبع منه كل شيء كالطاقة والذكاء والذي نعتبره كأمر مسلم به، لكنه لم يعد يحظي بمساعدة انتباهنا وإرادتنا، لذلك يبدو الأمر كما لو أنه يميل ببطء إلى الاختفاء، ليصبح شيئاً مجرداً. الويل لنا، إذا اعتبرنا في حياتنا كمسيحيين أن المصدر الدائم لوجهنا الانساني ولشخصيتنا ولنورنا وقوتنا! هو أمر مسلم به».[150] فعندما نأخذ المصدر كأمر مسلم به، أي الحدث الذي وقع في التاريخ فإنه يتحول إلى بداهة يتم وضعها في الدرج؛ ونعتبر أن الحدث أمرا مفترضا ومن ثم يتم التعامل مع الواقع انطلاقاً من مشاريعنا وتفسيراتنا الخاصة. فيبقى الحدث كفئة معروفة ومستخدمة أيضًا ، ولكن ليس كجذر حيوي للمعرفة والعمل. نحن لا نبدأ من الحدث المسيحي ، ولا نتوقع منه الإشباع، أي التوافق مع الاحتياجات الأصلية للقلب: إذ نسعى في البحث عنه في إنجازاتنا الخاصة، في قدرتنا على البناء، في إثبات ذواتنا. فيحدث في ذلك – بشكل غير حكيم – تغير المنهج التي ذكرناه أعلاه. لذلك يحدد الأب جوساني الافتقار إلى المنهج والاهتمام في «الهيمنة الخطيرة للقدرة التعبيرية والبحث عن التعبير سواءً الشخصي أوالجماعي"، في السعي إلى " قدرة تعبيرية بمفهوم طبيعي. فالغريزة والاحتياجات والحاجات التي تملأ حياتنا الشخصية، والتي نلاحظها في حياتنا الجماعية، نشعر بالحاجة الملحة إلى إشباعها بالامتيازات والهيمنة الخطيرة للغاية على النقطة التي تشكل التغذية المستمرة لمسيرتنا الانسانية والمسيحية ». باختصار، إن هيمنة البحث عن القدرة التعبيرية الشخصية على حساب ذلك الحدث الذي دخل الحياة والذي كشف عن نفسه أيضًا كأصل ومصدر لإنسانية جديدة وبذكاء جديد وعاطفية جديدة. ما هو جذر المشكلة؟ يرد الأب جوساني بدون تردد: تأكيد الذات كهدف نهائي وأفق نهائي للعمل. "فالقيمة التي نسعى إليها بالذهاب إلى الكنيسة أو بجهد العمل في مصنع أو مدرسة أو جامعة، عندما نكون لوحدنا وعندما نكون معًا، هو تأكيد لأنفسنا، وفقًا للجانب الذي يهمنا (ربما التعبير عن المشاعر أو عن الذوق أو عن الفضول الثقافي، وربما قدرة المرء على التعبير عنه، وربما الولع الاجتماعي والسياسي). هذه هي النقطة المركزية للمسألة: فالقيمة التي نسعى إليها، فرديًا ومجتمعيًا، تبدو لي محددة بشكل أساسي بالحاجة والطلب، من خلال القلق من تأكيد أنفسنا، وفقًا لما يهمنا، وفقًا لما نشعر به مثيراً للاهتمام نحن."[151] تجدر الإشارة إلى أن الأب جوساني لا يتحدث مع الأشخاص الذين اختاروا اتباع مسارات أخرى، ولكن مع الأشخاص الذين انخرطوا في الخبرة المسيحية التي أثارها والذين يستثمرون بسخاء الوقت والطاقة في مختلف مجالات التزامهم. هذا ما يجعل ملاحظته أكثر إثارة للاهتمام ، لأنها لا تهم "الآخرين" ، ولكن "نحن" ، أي الناس الذين يعيشون الاقتراح المسيحي الذي تم جذبهم منه. يوضح الأب جوساني في كتابه الأخير النقطة الحساسة في سياق بديل: "بدلاً من تأكيد كيان الانسان والواقع في حقيقته الكاملة والمتكاملة وفي مصيره الكلي والشامل ، نحن مصممون على الاهتمام باثبات ذواتنا". ويواصل: "إننا نضع الأمل في أحد مشاريعنا: وهذه هي الخطيئة عندما نضع الأمل في أحد مشاريعنا".[152] وهذا هو الإغراء الدائم الذي نتعرض له. ولضعف غريب وعميق ، وفي نفس الوقت لزعم يستسلم له الإنسان، أي كل واحد منا، ينفصل عما يجعله يعيش، ويأخذه كأمر مسلم به – وهي طريقة لإنكاره – ويؤكد نفسه . إنه يركز على نفسه و "يركز الانتباه والرغبة في أشياء محددة ومحدودة. تم تغيير التصميم الأصلي، الذي تم خلق من أجله الإنسان ، من خلال الاستخدام التقديري للحرية. وهكذا يميل الرجال نحو معين يتم فصله عن الكل بهدف الحياة. إن الخبرة التي نعيشها كل يوم هي أن البشر يميلون إلى تحديد مجمل الحياة بشيء جزئي ومحدود. والخروج من هذا التحيز ليس في أيدينا: فلا أحد منا يستطيع العودة إلى النظر بنظرة حقيقية إلى الواقع بمفرده ».[153]

---

150 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

151 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥. يقدم لنا تولستوي إعادة صياغة بارعة للإنجيل في هذا الصدد: «*اطلبوا* [...] *أولاً وقبل كل شيء ملكوت الله وعدله وستحصلون على أكثر من هذه الأشياء*. ونحن ، من ناحية أخرى ، نبحث *عن كل هذه الأشياء* ، ومن الواضح أننا لا نجدها " (ليو تولستوي ، *القيامة* ، مرجع سابق ، ص ٥٧٣).

152 الأب جوساني ، *حدث في حياة الإنسان* ، بر ، ميلان ٢٠٠٠ ، ص. ١٨٧, ٢٧

153 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سبق الاستشهاد به، ص. 31-32.

ومع ذلك لا يؤدي السعي لإثبات ذواتنا إلى الامتلاء والرضا الذي يبدو أنه يعدنا بها ولا يحررنا من العدم. إن خطبنا وجهودنا هي محاولات غير كافية وعقيمة، كما لاحظنا. على العكس من ذلك، إذ "يزداد عدم الرضا بشكل كبير" رغم كل الجهود التي نبذلها في القيام بأعمالنا.[154] في الخطيئة تكمن التوبة التي يسميها الشاعر دانتي اليجييري "عقوبة الانتقام"، حيث "يُعاقب المرء بواسطة الخطأ الذي ارتكبه". في الواقع، إن "السعي لإثبات الذات الذي يهمنا أكثر، يؤدي دائمًا إلى المزيد من الضيق. وهذا الموقف الذي يعلي من إثبات الذات وتذوق طعم القدرة على التعبير عن الذات يدمر كل شيء ".[155]
لم يسبق لنا أن شهدنا، كما في هذه الأوقات التي يتفشى فيها فيروس كورونا، محدودية بقائنا في الواقع وكم هو أمر يثير الشفقة أن نضع أملنا في قدرتنا على التعبير. كتب جراهام جرين: «إن التعبير عن الذات هو شيء قاس وأناني. إنها تلتهم كل شيء، حتى الأنا. في النهاية تكتشف أنه ليس لديك أنا تعبر عنها. لم يعد هناك أي شيء آخر يثير اهتمامي ".[156] «أولئك الذين يتمركزون حول أنفسهم وصلاحهم أو ذكائهم ، وحول القلق أو الإقتناع بأنهم على حق، ينتهي بهم الأمر إلى التوقف عن إدراك الواقع في اختلافه الذي لا ينضب والغامض. وهكذا، فإن الحماس الوحيد الذي يمكن الشعور به في الحياة هو أن تكون على حق، وأن تكون راضياً وليس بالتأكيد المفاجأة لما يحدث وللواقع الذي يخاطب الشخص ولنعمة الوجود ".[157]
التمركز حول الذات يجعلنا أصماء عن الواقع، وعن اختلافه الغامض الذي لا ينضب ويحول الحياة إلى فقاعة خانقة. إن ما نعتقد أنه يمكننا الحصول منه على الرضا يقودنا إلى العدمية؛ وتفضيل مذاق قدرتنا على التعبير عن ذواتنا يفسد كل شيء، أي اختزال كل شيء إلى الصفر. لكن لماذا؟ لأنه يتعارض مع قانون تحقيق الإنسان لذاته. "إن شريعة الحياة هي ما قاله الرب: "كل من يبحث عن نفسه يضيعها ومن يقبل أن يفقد حياته سيجدها. من يقبل أن يفقد حياته من أجلي سيجدها ".[158] هذا هو مفهوم "التغير الجذري"».

٤) التغير الجذري. واستعادة الإيمان بشكل مستمر

ها هو البديل الذي أشار إليه الأب جوساني: «ليس تعبيرا عن الذات، بل تغيراً جذرياَ للذات. ليس تعبيراً علنياً وثقافياً وسياسياً عن الحركة ، بل تحولاً جذرياً للحركة. هذه هي الكلمة! يمنح الله المكافأة في هذا العالم، وفقاً لخطته وأزمنته، لهذا التحول الجذري، كما أكد ذلك أيضاً جميع الأنبياء عندما غنوا لإسرائيل، شريطة أن يظل أمينًا لله: "ستأتيك كل الشعوب" ».[159]
إن "التغير الجذري" إلى حدث المسيح هو الذي يضمن "المكافأة"، مئة ضعف هنا – بكل معنى الكلمة، حتى كتأثير تاريخي – وليس التظاهر بمشروع خاص، أو البحث المحموم عن قدرتنا التعبيرية الخاصة بنا، أو إثبات الذات. لكن هذه هي نقطة الانزلاق بالتحديد: لأن الإيمان واللقاء الذي يبدو لنا غالبًا هشًا للغاية ولا يبدو كافياً لجعلنا نحصل على الرضا والتأثير الذي نريده، والذي نتطلع إليه ونتخيله، ثم نترك الحدث وراءنا ونركز على مبادرتنا. يدرك تولستوي هذا الموقف وعواقبه: "كان يعتقد أنه [...] كان يؤمن: ولكن في هذه الأثناء ، مع كل كيانه [...] كان يعي بأن هذا الإيمان هو شيء "غير ملائم" على الإطلاق. وهذا ما جعل عينيه دائما حزينة ".[160]

---

154 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥. كتب دوستويفسكي في *كتاب الأخوة كارامازوف* : «[اليوم] يريد كل واحد أن يختبر في نفسه ملء الحياة ؛ ولكن يحدث عكس ذلك، إذ أن جميع جهوده لا تصل إلى ملء الحياة، بل إلى التدمير الذاتي، لأنه بدلاً من تحقيق ملء كيانه، يغلق الإنسان نفسه في عزلة كاملة "(FM دوستويفسكي ،*الإخوة كارامازوف* ، المجلد الأول، جارزانتي ، ميلانو ١٩٨١، ص. ٤٢١).

155 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

156 جرين ، *حالة محترقة* ، مونداوري ، ميلانو ١٩٨٤ ، ص. ٧٨.

157 الأب جوساني ، *حدث في حياة الإنسان* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٩. على نفس المنوال، يكتب دي لوباك: «نحن نؤمن بأننا مستنيرون ولكننا لم نعد نعرف كيف نميز وندرك ما هو جوهري. إننا لم نعد نعرف كيف نكتشف إبداعات الروح الزاهرة والكثيرة ومن حولنا الذي يظل دائماً كما هو في ذاته وجديد دائمًا في الآن ذاته "(H. de Lubac ،" تجاربنا تجاه الكنيسة "، في Id. ، *تأمل حول الكنيسة*، مرجع سابق، ص ٢٠٠).

158 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

159 وفي هذا الصدد، يلاحظ دي لوباك: «عندما لم نعد نعرف أن نرى في الكنيسة أن مزاياها البشرية وعندما لم نعد نعتبرها إلا وسيلة، وإن كانت نبيلة طالما أردنا ذلك، فيما يتعلق بهدف زمني وعندما لم نعد نعرف كيف نكتشف شيئاً فيها، رغم بقائنا كمسيحيين بلا وضوح، أولاً وقبل كل شيء سر الإيمان لم نعد نفهمها إطلاقاً» (H. de Lubac ،" سر يسوع المسيح"، في المرجع نفسه ، *تأمل حول الكنيسة*، مرجع سابق ، ص ١٤٥).

160 تولستوي *القيامة* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٣٦٨ - ٣٦٩

والآن ، إذا أصبح الله، الذي هو معنى كل شيء، إنساناً وإذا استمر هذا الحدث في التاريخ ، فإنه يبقى معاصراً لحياة كل واحد منا ، وبالنسبة للإنسان الذي يدركه يجب أن يدور كل شيء حول هذا الإله الانسان. "إن اللقاء الذي أعطى البداية لمسيرتنا له نفس الخصائص، فهو نهائي وشامل، حيث أن جميع تفاصيل قصة حياتنا التي نعيشها هي جزء منه". إن المسيح له علاقة بكل حياتنا وبكل تداعياتها الملموسة. «إن مضمون الإيمان – بأن الله صار إنساناً، يسوع المسيح المائت والقائم من الأموات – الذي ينبثق من لقاء، وبالتالي في نقطة من التاريخ، يشمل كل اللحظات والجوانب، التي كما لو كانت دوامة تدخل في ذلك اللقاء ويجب التعامل معها من وجهة نظره، وفقًا للحب الذي ينبع منه ووفقًا لاحتمال أن يكون مفيدًا لمصيرنا الشخصي ولمصير الانسان الذي يقترحه».[161] للتأكيد على هذا الطابع الشمولي، يستخدم الأب جوساني الفرق بين النطاق والشكل. «يصبح اللقاء، بطبيعته الشمولية، بمرور الوقت الشكل الحقيقي لكل علاقة، الشكل الحقيقي الذي أنظر به إلى الطبيعة وإلى نفسي والآخرين والأشياء. فاللقاء، إذا كان شاملاً، يصبح شكلاً وليس مجرد مجال للعلاقات: فهو لا يؤسس صحبة كمكان للعلاقات فحسب، بل هو الشكل الذي يتم فيه تصور وعيش هذه العلاقات».[162] وهذا يعني أن النظر إلى كل تفاصيل الواقع والوجود تتشكل من خلال ذلك اللقاء. فيمكننا أن نعيش كل شيء بعمق وبكرامة غير متوقعة، حتى لو تواجدنا في وضع يقيدنا. إنه ليس نوعاً من "أدب" بل هو خبرة حية. كتبت إيتي هيليسوم، وهي جالسة على مقعد خشبي في حقل ويستربورك للجمع والحصاد: «هنا نتعلم الكثير. فعلى سبيل المثال، تختلف هذه الحياة تماماً عن وصفها في كتب التاريخ، وأن العيش هو شيء صالح وجيد في كل مكان، حتى خلف الأسلاك الشائكة وداخل الأكواخ الهشة، طالما أنك تعيش بالحب الضروري تجاه الآخرين وتجاه الحياة».[163]

بعد كل شيء، في كثير من الأحيان، دون أن نعترف بذلك لأنفسنا، فإن الفكر التي يهيمن علينا هو شك في تأثير اللقاء والإيمان على فعالية مبادرة السر (الله) في العالم. إن منهج الله "الهادئ"، كما يسميه البابا بنديكتوس السادس عشر، يبدو لنا متواضع للغاية: «إنه من اللائق حقاً أن يعمل سر الله بطريقة متواضعة. وتدريجياً فقط يبني *تاريخه* في التاريخ العظيم للبشرية. فيصبح إنساناً لكن بطريقة يتم تجاهله بها من قبل المعاصرين، من قبل قوى التاريخ ذات السلطة. يتألم ويموت، وكقائم من الأموات، يريد الوصول إلى البشر فقط من خلال إيمان الذين تتجلى لهم. فهو يطرق باستمرار وبهدوء على أبواب قلوبنا، وإذا فتحناها، فإنه يجعلنا ببطء قادرين على "الرؤية" [...]. أليس هذا حقاً الأسلوب الإلهي؟ إنه لا يطغى بالقوة الخارجية، بل يعطي الحرية ويمنح ويستثير الحب».[164]

ولذلك الشك، نفضل ، حتى بدون الإعلان عنه – ولكنه يتضح من الطريقة التي نتحرك بها، أن نستبدل الحدث أو "نساعده"، طريقة كشف الله لذاته وتصرفه وأسلوبه في مشروعاتنا وأنشطتنا. فبالقيام بذلك، نحن لا ننكر المسيح صراحة، لكننا نتركه في بيت القربان المقدس، في مكان خاص وقوي: إننا نأخذ المنبع كأمر مسلم به، ونرفضه ونحوله إلى إلهام يبرر ما نفكر فيه ونريده نحن، ألا وهو إثبات ذواتنا.[165] لهذا السبب يدعونا الأب جوساني إلى التغير الجذري على المستوى الشخصي والجماعي. التغير الجذري! ما هو ولماذا هذا هو بيت القصيد؟ "إن التغير الجذري هو استعادة الإيمان باستمرار، والإيمان هو الاعتراف بحدث، والحدث قد حدث في الواقع، الحدث العظيم الذي يبقى بيننا. من كان لديه إيمان قبل ألفي عام؟ أولئك، سواء قليلون أو كثيرون، الذين أدركوا في ذلك الانسان وجود شيء عظيم وخارق للطبيعة. إنه شيئًا لم يروه في أحد مثل الذي رأوه فيه، ولكنه كان واضحاً فيه، لأن "لا أحد يستطيع أن يقول ويفعل الأشياء التي تقولها وتفعلها إن لم يكن الله معه" كما قال نيقوديموس ليسوع. وبالتالي، فإن استعادة الإيمان يعني باستمرار استعادة الوعي والالتصاق بالسر الموجود بيننا، وبالحدث الموجود فينا وبيننا: فهو في كل منا بالمعمودية ؛ وبالتالي بيننا كجزء من كنيسة الله ".

---

161 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٤٠.

162 *راجع المصدر السابق.*

163 E. Hillesum، *رسائل*، ميلانو ٢٠١٣، ص. ١٨٢-١٨٣

164 جوزيف راتسينجر - البابا بنديكتوس السادس عشر ، *يسوع الناصري. من دخول القدس إلى القيامة* ، ليف ، مدينة الفاتيكان ٢٠١١ ، ص. ٣٠٦.

165 انظر في هذا الصدد مجمع عقيدة الإيمان ، رسالة *بلاكويت ديو* إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية حول بعض جوانب الخلاص المسيحي ، ٢.

إذا أصبح هذا التغير الجذري واقعاً "مشروعًا لحياتنا، فسوف نكون أيضًا أكثر قدرة على أن نكون جاهزين ومتاحين وقادرين في جميع إلتزاماتنا التي يحتاجها التاريخ منا يومًا بعد يوم".[166] ويستمر الأب جوساني مفصلاً بقوله: إن استعادة الإيمان باستمرار يعني "استعادة الإيمان كذكاء وطاعة". هناك بعدين للإيمان هنا – الذكاء والطاعة – يجب أن ننظر إليهما باهتمام. لنبدأ بالأول. «إنه الفهم الذي يدرك الحدث الذي في داخلي وفي وسطكم وفي وسطنا. الإيمان، في الواقع، هو فعل فهم»، ولكنه فهم «أعمق وأكبر حتى من الفهم المعتاد للعقل الطبيعي، لأنه يخترق مستوى الأشياء التي تتخذ فيه إتساقها ومعناها. استعادة الإيمان كفهم يعني الاعتراف المتواصل بالحدث الذي في وسطنا: "فكلنا الذين نأكل من ذلك الخبز نصبح شيئاً واحداً. فكل واحد منكم هو عضو للآخر، وبالتالي تحملون أعباء بعضكما البعض ».[167] أسأل نفسي: ولكن كيف نتحدث اليوم، في العالم الذي نحن فيه، بكل إنجازاته وتطوراته التي تميزه، وبكل الشكوك والأحكام المسبقة التي تحجرِه، وبالأشياء التي أشرنا إليها؟ بأي سلطة يمكننا قول هذه الأشياء؟ بحياتنا وبخبرتنا فقط، أي إذا نما فينا وعي ذاتي جديد وبالتالي طريقة إنسانية جديدة للتواجد داخل الأوضاع الحياتية للجميع. وكما يشير Berdjaev، «إن التحرر الروحي لا يرافقه عبور إلى التجريد بل إلى التجسيد [...]، إنه انتصار على قوة الغرابة».[168]

كما يمكننا أن نقول مرة أخرى بكلمات الأب جوساني: «ها نحن نشكل المكان الذي يجد فيه الجهد النبيل للإنسان نحو تحرره اكتمالاً أكبر"؟ كيف يمكننا أن نقول هذه الأشياء، "إذا كانت الحقيقة الإلهية، سر المسيح الذي بيننا وفينا لا نضعها في اعتبارنا باستمرار وإذا لم تكن محتوى وعي ذاتي جديد؟". إن الوعي الذاتي الجديد «هو في الواقع طريقة أخرى لفهم أنفسنا، إنها طريقة أخرى لفهم حضور الآخر، من هو الآخر وما هي علاقتي به. «كلنا واحد، وكل منكم هو عضو للآخر: وبالتالي تحملون أثقال بعضكم البعض." إلى أن يصبح هذا مشروع كل صباح وبرنامج كل يوم، ماذا نفعل [في العالم]؟ يصبح موقفنا أمام العالم على الفور خطابًا من بين خطب الآخرين، وأيديولوجية من بين أيديولوجيات الآخرين، ووهمًا آخر ملقى في وجه الإنسان ».[169] الكلمة الثانية التي استخدمها الأب جوساني للإشارة إلى التغير الجذري والاستعادة المستمرة للإيمان، هي «الطاعة». وبالتالي، فإن السؤال ليس فقط عن الإيمان كفهم و«كإدراك لما هو جديد بداخلنا وبيننا، ولكن أيضًا كطاعة لهذا الواقع الذي نعترف به وندركه فينا وبيننا ولهذا الاتحاد بسر المسيح، الذي هو أنا وأنت، ولهذا الاتحاد بيني وبينكم. إن وحدة الدم التي تضمنها الأم أقل عمقًا ونهائية من هذا، كما قال الرب في الوقت الذي كان يشق طريقه وسط حشد الجماهير قال له أحدهم: «يا معلم، إن أمك وإخوانك هنا.» «من هي أمي ومن هم إخواني وأقاربي؟ «إن من يفعل إرادة أبي فهو أمي وأخي وأختي».[170] سنتناول هذه الكلمة – الطاعة – على نطاق أوسع في نهاية طريقنا. دعونا نسأل أنفسنا الآن: ما هو التحقق من أن *الإيمان كاعتراف*، وكفهم لما هو جديد فينا وبيننا، *وكطاعة* لهذا الواقع المعترف به، إلى «*وحدتنا في ذلك الانسان، أي المسيح*»،[171] هل هم حقيقيون فيك وفيا؟ ما هو التحقق من التغير الجذري؟ إن هذا التحقق هو إنسانية جديدة ومقدمة للسعادة النهائية.
إنها الخبرة التي أعطانا القديس بولس شهادةً لها في رسائله. «فإِن ظَنَّ غَيري أَنَّ من حَقِّه الاعتمادَ على الأُمورِ البَشرِيَّة، فأَنا أَحَقُّ منه بذلك: إِنِّي مَخْتونٌ في اليَومِ الثَّامِن، وإِنِّي مِن بَني ، من سِبْط بَنْيامين عِبْرانِيٌّ مِنَ العِبْرانِيِّين. أَمَّا في الشَّريعَة فأَنا فِرِّيسِيّ، وأَمَّا في الحَمِيَّة فأَنا مُضطَهِدُ الكَنيسة، وأَمَّا في البِرِّ الَّذي يُنالُ بِالشَّريعة فأَنا رَجُلٌ لا لَومَ علَيه. إِلاَّ أَنَّ ما كانَ في كُلِّ ذلِكَ مِن رِبْحٍ لي عَدَدتُه خُسْرانًا مِن أَجلِ المسيح، بل أَعُدُّ كُلَّ شَيءٍ خُسْرانًا مِن أَجْلِ المَعرِفَةِ السَّامية، مَعرِفةِ يسوعَ المسيحِ رَبِّي.

---

166 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

167 *من نفس المصدر السابق.*

168 N. Berdjaev، *العبودية وحرية الانسان*، بومبياني، ميلانو، ٢٠١٠ ، ص ٦٢٧

169 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

170 *راجع المصدر السابق.*

171 الأب جوساني ، *من المدينة الفاضلة إلى الوجود (١٩٧٥ - ١٩٧٨)*، بور، ميلانو ٢٠٠٦، ص. ٢٥ - ٢٦

من أَجْله خَسرتُ كُلَّ شَيء وعدَدتُ كُلَّ شَيءٍ نُفايَة لأَربَحَ المسيحَ وأَكونَ فيه، ولا يَكونَ بِرِّي ذلك الَّذي يأتي مِنَ الشَّريعة، بل البِرُّ الَّذي يُنَالُ بِالإِيمانِ بالمسيح، أَيِ البِرُّ الَّذي يأتي مِنَ الله ويَعتَمِدُ على الإِيمان، فأَعرِفَهُ وأَعرِفَ قُوَّةَ قِيامته والمُشارَكَةَ في آلامه فأَتمثَّلَ به في مَوته، لَعَلي أَبلُغُ القِيامةَ من بَينِ الأَموات. ولا أَقولُ إِنِّي حَصَلتُ على ذلكَ أَو أَدرَكتُ الكَمال، بل أَسْعى لَعَلِّي أَقبِضُ علَيه، فقَد قَبَضَ عَلَيَّ يسوعُ المسيح. أَيُّها الإِخوَة، لا أَحسَبُ نَفْسي قد قَبَضتُ علَيه. وإِنَّما يَهُمُّني أَمرٌ واحد وهو أَن أَنْسى ما ورائي وأَتمطَّى إِلى الأَمام فأَسْعى إِلى الغاية، لِلحُصول على الجائِزَة الَّتي يَدْعونا اللّهُ إِلَيها من عَلُ لِنَنالَها في المسيحِ يسوع.»[172]

فماذا يعني الجري بالنسبة للجائزة؟ هل هو إشارة إلى المستقبل؟ لتوضيح الخبرة الكامنة وراء ذلك الامتداد، يتوقف الأب جوساني للحديث عن الكلمة التي يتبناها القديس بولس والتي يتبناها الطقس المقدس للإشارة إليها. ثم يضيف ملاحظة مفادها أنه بالنسبة لنا ولخبرتنا – وخبرتك وخبرتي – لهؤلاء الذين يرغبون في تحقيق ذواتهم، هي رأس المال: «تبدأ الجائزة هنا، إذ أنها الإنسانية الجديدة التي وعدنا بها. يستخدم القديس بولس والطقس المقدس مصطلحًا واضحًا جدًا وهو "عهد"، عهد الروح القدس. «العهد" يعني "مقدم"، مقدم السعادة النهائية هنا على الأرض. وهذا ما نحن مدعوون لاختباره وعيشه لإعطائه للآخرين وللعالم وللبشر لأن هذه الهبة الجديدة، أي الإنسانية الجديدة هي أفضل نصيحة حتى لا تكون جهود الإنسان زائفة ومزيفة ومخيبة للآمال في النهاية».[173] إنها إنسانية جديدة ومختلفة وأكثر حقيقية وأكثر اكتمالا ومرغوبة وهي "النصيحة" الوحيدة التي يمكن أن تدخل إلى وعينا كبشر وكبشر معاصرين، وهي الوحيدة التي يمكننا الإحساس بها كدعوة تجذبنا وتحررنا.

إن تحديد هذه الأشياء يبقيها بالضرورة على مستوى عام، ولكن ما قيل "ينطبق على حياتك الأسرية وعلى زوجتك وعلى زوجك وعلى أطفالك وعلى العلاقات مع الناس الذين تعمل معهم وعلى العلاقات الذي يجب أن تقيمها مع كل إنسان تقابله وبكل حدث يحدث في أزمنة الرخاء وأزمنة المصاعب والضيقات حتى نكون متواضعين في زمن الرخاء، وآمنين في زمن الضيق على حد سواء».[174] إنسانية جديدة ومقدمة للسعادة النهائية، وبالتالي طريقة أخرى لتصور الأشياء، ومعرفة جديدة، *ونظرة حقيقية على الواقع*. هذه هي المكافأة التي يقودها التغير الجذري الذي تحدثنا عنه.

---

172 فيل ٣: ٤-١٤.

173 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

174 *راجع المصدر السابق.*

الفصل الخامس

العلاقة مع الآب

مما تتكون النظرة الحقيقية على الواقع؟ من عاشها؟ من الذي قدمها إلى التاريخ ويستطيع مساعدتنا لنعيشها؟ لقد عاش يسوع على الأرض مثل كل واحد منا. كانسان حقيقي كان عليه أن يتعامل مع أشياء معينة ومحدودة وعابرة، وعانى من التجارب والآلام حتى أقصى ألم وهو ألم الصليب. ما الذي سمح له بألا يستسلم إلى الانحياز، وأن لا ينتهي إلى العدمية أو اليأس أمام التجربة الكبرى؟ كيف يساعدنا المسيح حتى لا نقع فريسة الإنحياز للأشياء والمواقف، والقلق الناجم عن محاولاتنا لإثبات ذواتنا وخواء الحياة من المعنى واليأس؟

١) إن حياتنا تعتمد على آخر

في *كتابه «الملائمة الإنسانية للإيمان»*، [175] يستأنف الأب جوساني تعليقه على جزء للكاردينال راتسينجر من كتابه *«مدخل إلى المسيحية»* : «ماذا يحدث عندما أجعل نفسي مسيحياً وأسلم حياتي لاسم المسيح وأقبله كإنسان نموذج ومعيار لكل سلوك بشري؟ ما هو نوع نقطة التحول للكيان الانساني، ما هو الموقف الذي أتخذه أمام الإنسانية بفعلي ذلك؟ ما مدى عمق هذه العملية؟ ما هو التقييم العام للواقع الذي ينبثق عن ذلك؟ [176] بمجرد إعادة طرح الجزء، يتناول الأب جوساني فقرات منه والآثار المترتبة عليه: يبدأ الكاردينال راتسينجر بالقول أن كوننا مسيحيين يعني الخضوع لاسم هذا المسيح – "الاسم" بالمعنى العبري يعني – إلى هذا الحضور، إلى قوة هذا الحضور، "بقبوله على هذا النحو"، والاعتراف به ، "كالإنسان النموذج" الذي يجب أن يستثمر حياتي كمعيار "ومقياس كل سلوك بشري". لذلك يجب علىَ أن أحاول أن أتصرف كما يتصرف هو». [177] إذن ما هي نقطة التحول الأولى التي تحدث فينا وأول شيء جديد يدخل إلى حياتنا عندما "نسلم أمرنا" لاسم المسيح ونقبله كمعيار لجميع أعمالنا؟ قبل كل شيء «الوعي بأن حياتنا تعتمد على آخر ومن أجل هذا الآخر! وحياتنا عندما نستيقظ في الصباح ونشرب القهوة باللبن وعندما نشمر عن سواعدنا لوضع الأشياء في مكانها المخصص في المنزل وعندما نذهب إلى العمل، مهما كانت هذه الوظيفة (لا يوجد أي فرق)، تعتمد حياتنا على شيء آخر، أكبر منا بشكل يفوق التصور وهو هدفها». [178]

وهذا، كما يؤكد الأب جوساني، هو أول شيء جوهري يجب أن يحدثه فينا المسيح كإنسان وكقدوة لحياتنا وكمقياس ومعيار لسلوكنا: "الوعي بأننا" خُلقنا «من» شيء أعظم، أي «من» الأب. يتضح هذا عندما يفهم المرء أن كل وجوده "متعلق" بالآب، وأنه "ملْك" الآب وأنه "من" الآب». [179] "أب"، هذه هي الكلمة الكبيرة. ففي اللحظة التي نعيشها، بعد أن جعلنا فيروس كورونا أكثر إدراكا بمدى هشاشتنا وضعفنا واعتمادنا على ما يحدث، تبرز هذه الكلمات بأدلة متجددة ودرامية في مدى تأثيرها. لقد كان حسم الإشارة إلى "الآب" هو بالتحديد ما «فهمه فيلبس الرسول بشكل مشوش عندما سئل قبل ساعة من القبض على المسيح: "استمر في الحديث معنا عن الآب ودعنا نرى هذا الأب مرة واحدة وسنكون سعداء!".

---

175 الأب جوساني، *الملائمة الانسانية للإيمان*، بور ، ميلانو ٢٠١٨.

176 الكاردينال راتسينجر، *مدخل إلى المسيحية*، Queriniana ، بريشا ١٩٦٩ (١٩٨٦ ٨) ، ص. ٥٥.

177 الأب جوساني، *الملائمة الانسانية للإيمان*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٢٦ - ١٢٧

178 *أنظر المرجع السابق*، ص ١٢٧

179 *أنظر المرجع السابق.*

لقد فهم أن هذه هي الكلمة التي تبلبل الطريقة الطبيعية التي يشعر بها ابشر بأنفسهم وأنها تذهب إلى أصل كل شيء وتحتضن أفق كل شيء، لأن الآب هو أفق كل شيء وجذر كل شيء وأكبر بطريقة لا نهائية من أقرب مقارنة يمكننا إجراؤها، مثل مقارنة الطفل الذي تم الحمل به، والذي بالنسبة إليه الأفق الشامل والجذر الكلي هو رحم أمه (فالأم والأب هما نفس الشيء بالنسبة إليه)». هنا، في الواقع، يتعلق الأمر بأبوة نهائية وجذرية ودائمة. « *تام باتر نيمو*، ليس هناك أب مثل هذا، فهو الأب الوحيد وحياتنا كلها متعلقة به وملك له. "فيلبس، إنك معي لفترة طويلة ولم تفهم بعد؟ من رآني فقد رأى الآب ". هذا هو أصل الحنان والاندهاش اللذان كان لدي دوستويفسكي للمسيح لأنه في الابن يكمن سر الأب الذي ننتمي إليه، يصبح مألوفًا ».[180] كي نشير إلى أُلفتنا مع السر مع هذا المنبع الذي لا يمكن الإمساك به والذي ينبثق منه لحظة بلحظة الكون وذاتي كذات كل إنسان والذي ينتمي إليه الكل في النهاية، نقول "الآب" التي هي أقرب كلمة يمكننا استخدامها: فالأب والأم هما أقرب الرموز وأقرب علامات هذه الألفة. والآن، أصبح الله واحداً منا. لكن ما يقدمه لنا المسيح كنموذج للإنسانية وكمقياس هو هذا الوعي العميق والأكثر تغلغلاً فينا بأننا ننتمي إلى شيء أعظم يمكننا أن نقول له "أبانا". يجب علينا أن نتعرف عليه في عملنا وفي علاقاتنا، حتى نجعل العمل عميقاً وممنوحاً والعلاقات مليئة بالرحمة والمحبة».[181] ما هو الطريق الذي اختاره الآب لإدخالنا في علاقة عميقة ومألوفة معه؟ لقد أرسل لنا ابنه، بجعله حضوراً يمكننا اختباره، وحتى نستطيع أن «نرى» في الابن الذي صار إنساناً بواسطة عمل الروح القدس[182] إلى أي علاقة حميمية معه نحن مدعوون وإلى أي جديد يلمح إلي طريقة النظر إلى كل الأشياء والتعامل معها.

كيف أدخل المسيح الإنسان الوعي بالانتماء إلى الآب إلى هؤلاء الذين سمعوه ورأوا أعماله؟ كل عمل قام به وكل كلمه قالها وكل نظرة له قد شكلها وعي الآب ووثقت وعي الآب. "فقد حدد هذا الوعي المسيح كانسان بطريقة كاملة لدرجة أنه كان قادراً على القول: " أنا والآب واحد" (يو ١٠، ٣٠). ولكل من أوقفه وهو يسير وهو يتكلم مع الرسل وهو يأكل هناك وسأله: "بما يمتلىء وعيك في هذه اللحظة؟" كان سيقول: "من الآب". «لي طَعامٌ آكُلُه أَنتُم لا تَعرِفونَه. طَعامي أَن أَعمَلَ بمَشيئَةِ الَّذي أَرسَلَني وأَن أُتمَّ عَمَلَه» (يو٤: ٣٢ – ٣٤). إتمام عمله هذه هي الحياة ". لذلك يواصل الأب جوساني متحدثاً عن نفسه وعنا، مهما فعلنا وعلى أي طريق كنا: «حياتي هي القيام بعمله، ليس لأنني كاهن؛ إنه بالنسبة لي كما هو بالنسبة لكي تماماً يا من تكتبين على الآله الكاتبة!».[183] إن خبرة المسيح هي تلك التي نحن مدعوون إليها لمقارنة أنفسنا بها والتماثل معها، لأنها الخبرة التي يجب أن ننظر إليها. إذا أوقفنا الآن أحد في الشارع أثناء سيرنا وسألنا: "بما يمتلىء وعيك في هذه اللحظة؟"، ما هو ردنا؟ حتى أكون واضحاً، إن الأمر لا يتعلق بتكرار كلمات معينة، بل أن نتفاجأ بمعرفة ما الذي يملأ وعينا بالفعل ونحن نعيش. ماذا يعني أن يكون لدي وعي بالآب؟ من هو الآب؟ الآب هو أصل كل الأشياء، وهو الذي يأتي منه كل الأشياء في النهاية وتنبثق منه زهرة الحقل مثل وجه الحبيبة. وما العلاقة بين وعي المسيح للأب وعلاقته بالواقع؟ ما الفائدة التي تعود علينا من هذه الطريقة التي يعيش بها حياته كانسان في علاقة مع الآب؟ في المسيح، أصبحت هذه الطريقة مألوفة في التواصل مع الكائن الذي يتوافق مع القلب والذي يشبع ويحقق الذات ولا يتركنا في الوهم. لقد خُلقنا لذلك: "إن التعرف على الواقع كشيء منبثق من السر يجب أن يكون مألوفًا للعقل، لأنه في التعرف على الواقع كما هو بالتحديد، أي، كما أراده الله، بلا تقليل أوتسطيح أو بلا عمق، تجد احتياجات قلبنا التوافق وتتحقق حتى النهاية إمكانية العقل والعاطفة التي هي نحن. في الواقع، إن العقل، بسبب ديناميكيته الأصلية ذاتها، لا يمكن تحقيق ذاته إلا من خلال التعرف على الواقع لأنه مغمور في السر.

---

180 *أنظر المرجع السابق*، ص. ١٢٨.

181 *أنظر المرجع السابق*.

182 «إن ما يقوله [يسوع] عن الآب وعن نفسه - الابن الذي ينبثق من ملء الروح القدس الذي فيه والذي يصب نفسه في قلبه، ويملأ نفس" أنا "، ويلهم ويحيي عمله من الأعماق" (البابا يوحنا بولس الثاني، الرسالة العامة *Dominum et vivificantem*، 21).

183 الأب جوساني، *الملائمة الانسانية للايمان*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٢٨ - ١٢٩.

يصل العقل البشري إلى ذروته، إذن هو عقل بحق، عندما يتعرف على الأشياء كما هي لأنها تنبثق من آخر».[184] إن التعرف على الواقع كمنبثق من السر ليس وهماً كما يعتبره أصحاب الرؤى، أو قناعة ذاتية، بل هو قمة الاستخدام الحقيقي للعقل والعاطفة. كم هو مألوف بالنسبة لنا؟ كم مرة حدث لنا أن نتعرف على السر (الله) بالنظر إلى الأشياء المعتادة؟ إنها ليست مسألة قدرات. إن التعرف على الواقع كعلامة على السر هو أمر متاح للجميع، كما يقول القديس بولس في رسالته إلى أهل رومية: «لأنَّ ما يَقدرُ البَشَرُ أنْ يَعرفوهُ عَن الله جَعلَهُ اللهُ واضحًا جَليًّا لهُم. فمُنذُ خلَقَ اللهُ العالَمَ، وصفاتُ الله الخَفيَّةُ، أي قُدرَتُهُ الأزليَّةُ وأُلوهيَّتُهُ، واضحَةٌ جَليَّةٌ تُدركُها العُقولُ في مَخلوقاته. فلا عُذرَ لهُم، إذًا».[185] إذا كان في متناول الجميع، فهو مع ذلك ليس أمراً مسلماً. على العكس. ما يجب أن يكون مألوفًا لعقلنا – المصمم هيكليًا لفهم معنى الواقع – كما يتوافق مع حريتنا ، يبدو لنا من الناحية التاريخية بعيدًا وغامضاً ولا يمكننا رؤيته وتأكيده. لدرجة أننا عندما نتعرف على الواقع كعلامة للسر، نشعر بالدهشة. هذا يعني أنها ليست خبرة معتادة بالنسبة لنا. إذا كان أي شيء، فهذه الخبرة المعتادة هي طريقة أخرى للتواصل مع الواقع، والتي تعتبر وجودها أمراً بديهياً. ما هي الخبرة اليومية للعلاقة مع الناس والأشياء والأحداث الخاصة بيسوع، كما توثقها الأناجيل؟ يفهم يسوع كل الواقع كحدث: «وتصف ديناميكية الحدث كل لحظة من الحياة: زهرة الحقل التي" يلبسها الأب أفضل من حلة سليمان" هي حدث. الطائر الذي يسقط – "ويعرف ذلك الآب السماوي" – هو حدث؛ "شعور رؤوسكم معدودة" هو حدث. حتى السماوات والأرض التي كانت موجودة لملايين القرون هي حدث، حدث لا يزال يحدث اليوم كحدث جديد، لأن تفسيرهم ليس ينتهي. عندما نرى في علاقتنا مع كل شيء شيئاً آخر يعني أن العلاقة ذاتها هي حدث».[186] من الصعب ألا نتفاجأ وألا ننجذب من نظرة يسوع على الواقع التي تصفها الأناجيل. فهو يوثق طريقة عيش الواقع الذي لا يسطحه، ولا يقلل منه، بل يجسد ويعطي شهادة على علاقة حقيقية كاملة مع كل جانب من جوانب الواقع. بإعطاء شهادة لكيف ينظر إلى كل شيء – كزهرة الحقل والطائر الذي يقع والشخص الذي يعاني – يدخلنا يسوع إلى علاقة ألفة مع السر الذي يحدث الآن: كل شيء يمكن أن نعيشه كحدث، أي كما هو آت الآن – في نهاية الأمر – من السر (الله). ما الذي سمح له بعيش الواقع بهذا العمق؟ علاقته مع الآب. لأخذ المصطلحات المستخدمة من قبل ، لم يضع يسوع أمله في إثبات ذاته، في قدرته التعبيرية، ولكن في علاقته مع الآب (حتى المعجزات لم تكن أبداً استعراضاً لقدراته، لأنه أشار دائماً إلى الآب، وقد تمت على يديه حتى يدرك الجميع الآب ويعرفون أن الآب أرسله). لم تكن طريقة معيشته كانسان إثباتاً لذاته، بل طاعة لإرادة الآب. فعلاقته المستمرة مع الآب، التي امتلأ بها وعيه طوال الوقت، جعلته يعيش كل شيء بقوة وعمق لا مثيل لهما. إننا نجد في المسيح الإنسان انعكاساً لامتلاءه في مضمون عبارة رومانو جواردیني: "في خبرة حب عظيم، [...] كل ما يحدث يصبح حدثًا في محيطه".[187]

لم يجذبه شيء سوى الآب: "أنا والآب واحد".[188] حتى الشر الذي عانى منه لم يستطع فصله عن الآب. في الواقع ، هناك ترى كل عمق علاقته بالآب، مما يقوده إلى الثقة به بلا حدود. "إن هذه الثقة الأصلية في الآب، التي لا تحجبها أي عدم ثقة، تقوم على شركة الروح القدس مع الآب والابن: فالروح القدس يحفظ في الابن الثقة التي لا تتزعزع والتي كان كل ترتيب للآب فيها – حتى التحول بالانفصال الشخصي هجراً – سينبثق دائمًا من الحب، والذي منذ أن أصبح الابن إنسانًا، سيكون من الضروري الاستجابة بطاعة الإنسان ».[189]

---

184 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس ،*توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٣١.

185 روم 1: 19 - 20

186 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس ،*توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٢٨ - ٢٩.

187 ر.جواردیني ، *جوهر المسيحية* ، مورشيليانا ، بريشيا ١٩٨٠ ، ص. ١٢.

188 يو ١٠، ٣٠.

189 HU von Balthasar ،*إذا لم تصبحوا مثل هذا الطفل* ، Piemme ، Casale Monferrato (AL) ١٩٩١ ، ص. ٣١.

هنا يكمن جذر انتصار المسيح على العدم. إن طريقة حياة الابن هي الانتصار على العدم. في كل ما يفعله يشهد المسيح على علاقته بالآب. "كل من يؤمن بي لا يؤمن بي بل بالآب الذي أرسلني".[190] كل شيء، كل فعل أو كلمة، تشير إلى الآب، إلى السر. إن كل نظرة له أو عمل قد غزاها هذا الحضور. كما يقول الأب جوساني، في تلك الجملة التي نويت تكرارها كل مرة كلما استطعت: «الإنسان يسوع الناصري – المكلف بسر الكلمة وبالتالي المتخذ طبيعة الله ذاتها (لكن مظهره كان مساوياً تماماً لمظاهر جميع الناس) – لم يروا هذا الانسان وهو يقوم بعمل واحد بدون أن يظهر وعي بالله الآب ».[191] وعند الإصرار على ما يميز الوعي الذاتي ليسوع الإنسان، يذكر الأب جوساني كلمات إنجيل يوحنا: «طَعامي أَن أَعمَلَ بمَشيئَةِ الَّذي أَرسَلَني وأَن أُتمَّ عَمَلَه» أو: "أبي يعمل دائما وأنا أعمل أيضا". حياته تشبه التقليد المستمر، مثل التقليد المستمر، مثل المرآة ؛ فقد كان وعيه مرآة دائمة للآب. «أَنا لا أَستَطيعُ أَن أَفعَلَ شَيئاً من عندي بل أَحكُمُ على ما أَسمَع وحُكمي عادِل لأَنِّي لا أَتَوَخَّى مَشيئَتي بل مَشيئَةَ الَّذي أَرسَلَني».[192] عاش يسوع مدركًا أن كل قيمته تعتمد على علاقته بالآب. وخارج هذه العلاقة لا شيء يدوم، ولن يكون هناك شيء فيه اتساق. الآب والعلاقة معه، أعطى عمقًا ومعنى لكل شيء: «بالتأكيد اندهش يسوع أمام كل شيء [...] ، من أصغر زهرة إلى السماء التي لا نهاية لها. ومع ذلك، تنشأ هذه الدهشة من الدهشة الأعمق بكثير للابن الأبدي الذي في روح الحب المطلق يندهش من الحب نفسه الذي يهيمن ويعلو على كل شيء. "الآب أعظم" ».[193]

٢) اتباع يسوع: بأن نكون أبناء

كيف يمكن أن تصبح أمراً مألوفاً لكل منا، من الناحية التاريخية، هذه النظرة للعالم ولأنفسنا؟ بصحبة يسوع. إن تعلم نظرة المسيح إلى الواقع أمر يستحق العناء، لأنه "إذا لم ينظر الإنسان إلى العالم على أنه" عطية "، كحدث، بدءًا من عمل الله المعاصر الذي أعطاه إياها، فإنه يفقد كل قوته الجذابة والمفاجأة والايحاء الأخلاقي، وبالتالي يفقد اقتراح الالتزام بنظام ومصير الأشياء».[194] بدلاً من ذلك ، عندما يتم الاعتراف بالواقع كحدث منبثق من السر، ينشأ عمق لا مثيل له في حياة الإنسان: «أي عمق تم الوعد به لحياة أولئك الذين يدركون، لحظة بلحظة، علاقة كل شيء بالأصل! إن كل لحظة لها علاقة نهائية بالسر، وبالتالي لا نفقد شيئًا: فنحن موجودون لهذا، وهذه هي سعادتنا ».[195]

إن العلاقة مع الآب هي التي تجعل كل لحظة مليئة بالمعنى والإيجابية، حتى أكثرها قصرا. ويجب أن نكون على وعي بذلك: «إذ ليس هناك لحظة / لا تؤثر علينا بقوة / القرون. والحياة في كل نبضة / المقياس الهائل للأبدية ».[196] وإلا انهار كل شيء وانتصر فراغ المعنى. لذلك اتباع يسوع هو الشيء الأكثر ملائمة لنا. فباتباعه، يمكننا أن نرى وعده وهو يتحقق: "من يتبعني سيكون له مئة ضعف هنا." في صحبة يسوع، يمكن أن تصبح العلاقة الحقيقية مع الواقع خبرة مستقرة فينا، ويمكن للتدين – أي العلاقة التي نعترف بها ونعيشها مع السر في كل شيء، والمرتبطة بكل شيء – أن تصبح خبرة في كل لحظة، وبهذا يمكن أن تستمر الحياة المختلفة التي هي ثمرة هذه العلاقة.

---

190 يو ١٢، ٤٤.

191 الأب جوساني ، "انسان جديد" ، شركة *Tracce-Litterae Communionis* ، n. 3/1999 ، ص. VII-IX.

192 الأب جوساني ، الملائمة الانسانية للايمان، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٢٩.

193 HU von Balthasar ، *إذا لم تصبح مثل هذا الطفل* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٤٥ - ٤٦

194 الأب لويجي جوساني- S. ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٢٩.

195 *المرجع السابق*، ص. ٣١.

196 نيجري ، "الزمن" ، في السابق ، *شبابي* ، بور ، ميلانو ٢٠١٠ ، ص. ٧٥.

لا شيء يضيع مع المسيح، لأن المسيح يسمح لنا بالدخول في ألفة مع الآب. «بعد الكثير من محادثتنا وبعد الكثير من صحبتنا، يمكننا البدء في الإحساس بنوعية العمق والنبل وخفة الحياة واختلافها التي يقدمها لنا! [...] "لقد نزلتُ من السماء لا لأعمل بمشيئتي، بل بمشيئة من أرسلني. ومشيئة من أرسلني هي أن لا أفقد شيئًا مما أعطاني ". حتى لا أفقد أي شيء! كان يشير يسوع إلى الرسل وإلى التلاميذ، ولكن يمكن توسيع معنى هذه العبارة. إن مشيئة الآب هي أن لا أفقد أي شيء مما أعطاني: في كل لحظة وكل ظرف من ظروف الحياة وكل استفزاز وكل شيء أفعله. إنها عمق عفوي وتلقائي أكثر فأكثر – إنها ليست استحواذ – " [197] إنها العمق الذي شهد بها بونهوفر، في إحدى الرسائل التي كتبها أثناء حياته في السجن التي انتهت بوفاته فيه بسبب معارضته للنظام الوطني الإشتراكي: « اتركوا أيها الإخوة / ما يعذبكم / وما ينقصكم / فسأعيد لكم كل شيء». ماذا يعني هذا "أنا أعيد لكم كل شيء"؟ لا شيء يضيع، ولكن في المسيح يتم استعادة كل شيء، والحفاظ عليه بشكل مختلف وشفاف وواضح بطبيعة الحال [...]. المسيح يعيد [...] كل هذا وبالتحديد بالطريقة التي قصدها الله في الأصل، خالية من التشويه الذي سببته خطايانا». [198]

يمكن لكل ظرف من الظروف أن يحمل ذلك الشيء الجديد الذي قدمه المسيح إلى العالم. ولكن لكي يحدث هذا، فإن جهودنا لا تكفي – حتى لو كان هذا لا يعني أن حريتنا ليست ضرورية –. دعونا نلقي نظرة فاحصة على معنى اتباع يسوع. ما هي الطريقة التي يشهد لنا بها يسوع؟ ليس الجهد بل البنوة. أن نكون أبناء. يعلمنا يسوع ماذا يعني أن نكون أبناء من خلال شهادته لنا كيف هو إبن. إن طريق الامتلاء الذي يوثقه ليس أن نكون قادرين، بل أن نكون أبناء.

يذكر القديس بولس مسيحيي الكنيسة الوليدة بمنبع هذه الألفة: «والدَّليلُ على كَونِكُم أَبناء أَنَّ اللهَ أَرسَلَ رُوحَ ابنِه إِلى قُلوبِنا، الرُّوحَ الَّذي يُنادي: "أبا! يا أبت!"». [199] و يواصل: «لم تَتَلَقَّوا روحَ عُبودِيَّةٍ لِتَعودوا إِلى الخَوف، بل روحَ تَبَنٍّ بِهِ نُنادي: "أَبا! يا أبت"». [200] يعلق البابا بنديكتوس السادس عشر: "عندما أصبح إنسانًا مثلنا بتجسده وموته وقيامته، يرحب يسوع [...] بنا في إنسانيته وفي كونه ابنًا، لذا يمكننا أيضًا الدخول في انتمائه الخاص إلى الله. من المؤكد أن كوننا أبناء الله ليس لديه ملء يسوع: إذ علينا أن نصبح كذلك أكثر فأكثر طوال مسيرة وجودنا المسيحي بالنمو في اتباع المسيح وفي الاتحاد به للدخول بطريقة أعمق في علاقة حبه مع الله الآب الذي يحفظ حياتنا. إن هذه هي الحقيقة الأساسية التي تنكشف لنا عندما نفتح أنفسنا على الروح القدس ويجعلنا نلتفت إلى الله بقولنا "أبا!" يا أبت. لقد تجاوزنا حقا مرحلة الخلق إلى التبني مع يسوع ؛ إذ نحن في الحقيقة متحدين كأبناء مع الله بطريقة جديدة وببُعد جديد ». [201] في الواقع ، يؤكد H. Schlier ، أن نكون في المسيح يسوع «يتجلى لنا ويصبح في متناول أيدينا وحاضر لنا، وتصبح خبرتنا التاريخية بـ" الوجود في الروح "»[...]. في الواقع، يتجلى يسوع المسيح بالروح ويجعلنا نختبره ». [202] ويشير إسحاق النجمي بشكل موحى في *عظاته عن صيرورتنا كأبناء*: «ماذا يريد العبد أكثر من أن يصبح ابنا؟ وبالفعل من يجرؤ يا إخوتي على تصديق ذلك بشكل ضعيف، إذا كان صلاح الله لم يسمح ولم يعِد بذلك؟ ». [203] ثم يذهب قليلاً إلى أبعد من ذلك بقوله: «كما *أني وأنت شيء واحد فليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً معنا*.

---

197 الأب جوساني، *الملائمة الانسانية للابن*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٢٢٩-١٣٠

198 D. Bonhoeffer ، *المقاومة والاستسلام. رسائل وكتابات من السجن* ، 1988 Paoline ، Cinisello Balsamo (MI) ، ص. ٢٣٨ - ٢٣٩

199 غلا ٤، ٦.

200 روميه ٨، ١٥.

201 البابا بنديكتوس السادس عشر، *لقاء عام بجماهير المؤمنين*، ٢٣ مايو ٢٠١٢.

202 H. Schlier ، *الخطوط الأساسية لاهوت القديس بولس*، Queriniana ، بريشيا ٢٠٠٨ ، ص. ١٥٦.

203 إسحاق النجمي ، "العظة الخامسة" ، *في أفكار الحب* ، حرره MA Chirico ، Piemme ، Casale Monferrato (AL) ، ٢٠٠٠ ، ص. ١٠٢.

هذا هو المكان الذي يذهب فيه الخادم، حيث يتصالح العدو حتى يتحول من عدو إلى خادم، ومن خادم صديق، من صديق الابن، من وريث الابن، من الوريث، حتى تصبح أكثر مع مصدر الميراث؛ وكما أنه لا يمكن أن يحرم من نفسه، لا يستطيع أن يحرم من الميراث الذي هو الله نفسه ».[204]

خطأنا هو الاعتقاد بأن اختلاف يسوع يكمن في قدرته الفائقة التي ربما تسمح له بفعل ما لا نستطيع القيام به، أي العيش بدون الاستسلام الى العدم. بدلاً من ذلك ، لا يفشل يسوع ولا يصبح قاحلا ، فهو ليس ضحية لأي شيء ، لأنه يعيش من أجل الآب. فهذه هي قوته الوحيدة: "أنا أعيش من أجل الآب".[205] إن اختلافه ليس في القدرة على أن يكون هو نفسه بشكل مستقل. بل اختلافه هو في كونه ابن. هنا يكمن كل الاختلاف النوعي للمسيح. فمضمون وعيه الذاتي هو علاقته بالآب. "" من يتكلم عن نفسه ، يطلب مجده الخاص "[تأكيد الذات] – وهذا يقطع رؤوسنا: فكر فقط عندما نجادل –" ولكن من يسعى لمجد الشخص الذي أرسله ، إنه صادق ". إننا لا نسعى إلى اثبات وجهات نظرنا، بل التأكيد الكامل على محاولة وتواضع الحقيقة، في البحث عن "رأي" من أرسلنا.[206] ماذا يعني عدم السعي لاثبات وجهات نظرنا؟ إنه موقف مختلف للوعي. إن كلمة "ضمير" على فم المسيحي هي على العكس تماماً من معناها في فم الإنسان المعاصر. في فم الإنسان الحديث، تعني كلمة الضمير ("أنا أتبع ضميري") المكان الذي يولد فيه المرء آرائه وأفكاره، وله الحق في تأكيد ما يعتقده ويشعر به، لأنه يفهم نفسه مثل مصدر كل شيء: إذ يدرك أن الوعي كمصدر المعايير والآراء ". بالنسبة للمسيحي، من ناحية أخرى ، الضمير هو «مكان الذات حيث يسعى المرء ويستمع إلى حقيقة الآخر ؛ لذلك فإن المسيحي بطبيعته المتواضعة وعندما يكون الشيء واضحًا، فهو متأكد تماماً ، وهو متيقن بتواضع، وكله جاهز لوضع طاقاته في العمل من أجل البحث ومن أجل "الشعور" ، كما قال إنجيل يوحنا من قبل: "من أرسلني هو صادق ، وأنا أخبر العالم بالأشياء التي سمعتها منه". فلنقل ما سمعنا ».[207] الاستماع إلى حقيقة آخر وقول ما سمعناه من آخر: هل هو موقف شاق أم غريب؟ ويجيب الأب جوساني بلا ، وهو يشير إلى الكبار الذين يتحدث عنهم: "عفواً، إنكم تفعلون ذلك دائما، إنكم تفعلون ذلك في كثير من الأحيان"، عليكم فقط أن تكونوا على وعي بذلك. "يا له من شيء رائع أن تكونوا واعين وأنتم تفعلون ذلك، وأن تتفاجئوا بقولكم أو بتوصيتكم بأشياء لأبنائكم، وكذلك لأصدقائكم، لأنه نفس الشيء، وتفاجئكم عندما تتحدثون مع أبنائكم وتستطيعون القول: "هذا الذي يجعلني أتكلم هكذا هو صادق، وأقول ما سمعته منه، وأنا أقول لابني الأشياء التي سمعتها منه".[208] عندما يعمل هذا الوعي الجديد في علاقتنا مع الأبناء "أي هدوء وأي آمان وأي سلام هناك إذن!" أنتم أحرار أيضًا حتى أمام الرد الذي سيعطيه الإبن. ومن ناحية أخرى، عندما نرى أن رأينا هو المهم، فإننا نريد تمريره بأي ثمن: نحن المسيطرين ».[209] هذه هي العلامات الملموسة للغاية للتحقق عما إذا كان الوعي الجديد الذي أتى به المسيح يبدأ في اختراق أعماقنا أم لا. إذن فالنقطة هي أن الوعي بالآب يصبح أكثر ألفة، بحيث يمكن للجميع أن يقولوا، مثل يسوع: "من أرسلني هو معي". إنها خبرة تنضج مع الزمن، وتستمر في السير ولا تتوقف عن السير على الطريق الذي يفتحه اللقاء دائمًا ، كما قلنا. "دعونا نحاول أن نفكر وأن نتخيل شخصًا أوانسانا ، عشر أو مائة ، ألف مرة في اليوم ، يدرك حقيقة أن الذي أرسله ، أي من خلقه ، اي أن الله معه: إن الصفاء الذي نراه على وجوه البعض وعلى وجوه بعض الرهبان والراهبات نجد أصله هنا.

---

204 *المرجع السابق* ، ص. ١١٠.

205 يو ٦، ٥٧.

206 الأب جوساني ، *الملائمة الإنسانية للايمان* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٠.

207 *المرجع السابق* ، ص. ١٣٠ -١٣١.

208 *المرجع السابق* ، ص. ١٣١.

209 *أنظر المرجع السابق.*

ولكن في هذا يكمن الصفاء المثير للإعجاب لوجه العديد من أصدقائنا، لأن هذه الأشياء تعيش بيننا».[210] يتشكل هذا الوعي في كل لحظة وفي كل عمل وفي كل نظرة، وفي طريقة تعاملي مع كل شيء، خطوة بخطوة. ""لأتي من الله أتيت، و لم آتي من نفسي! ". أنا لا أقولها لكم ، بل أقولها لنفسي "، يؤكد الأب جوساني بينما يتذكرها ، و" يجب على كل واحد أن يقول ذلك لنفسه: أنا لم آت من ذاتي ، بل من آخر ، وبالتالي يجب أن أقوم بأعمال الذي جئت منه، وعلي أن أصغي له وأن أنظر وأن أقتدي. إذا اقترب أحد في أي لحظة من حياته من ذلك الشاب أو ذلك الرجل يسوع الناصري ، وسأله: "بما تفكر؟" ، فيرد: "في الآب" ، ولكن ليس مجردا من الأشياء ». في الواقع، لا يوجد بديل عن التفكير في الآب والتفكير أو الاهتمام بالأشياء. "إن التفكير في الآب هو طريقة صادقة للتفكير في الأشياء، إنها الطريقة الحقيقية للتفكير في الأشياء: إنها طريقة للنظر التي تجلبها إلى زوجتك أو زوجك وأطفالك وعملك والخير والشر الذي يحدث لك ".[211] يكشف لنا يسوع السر كآب. هو الذي يعلمنا أن نقول: "آبانا". إن فهمنا لحظة بلحظة لعلاقة كل شيء بالأصل يعني إذن فهم علاقة كل شيء مع الآب. وهذا يجعلنا نرى كل الأشياء في حقيقتها، وكليتها، وقابليتها للبناء. «ولكن هل تعتقدون أن العلاقة مع السر، أي مع الأب، كما قال يسوع، وبالتالي الاقتداء بالمسيح، لا يجعلنا ننظر إلى الرجل والمرأة والأطفال والأزهار والأشياء؟ لا، إنه يجعلنا ننظر بطريقة أكثر عمقا وحقيقية بمائة مرة. وهكذا، رغم التأتأة، نفهم أن الحقيقة في هذا الجانب؛ حتى من خلال تلعثمنا، ندرك أن الحقيقة تأتي إلينا من هنا ".[212]

٤) الشر هو النسيان

إن العلاقة مع الآب لا تصرف انتباهنا عن الأشياء ، ولا تقمعها ، بل تملأها بالمعنى. فالتفكير في الآب هو الطريقة الصادقة للتفكير في الأشياء. إنه نظرة حقيقية في النهاية. إذن يكتسب كل شيء عمق، عمق فريد: وفي النهاية يتم تأكيد قيمة اللحظة ، والعلاقات ، والعمل ، والواقع ، والظروف ، ومعاناتنا ومعاناة الآخرين.

هناك علامات على هذه الطريقة الحقيقية في التعامل مع كل شيء: الحرية والسلام واليقين الذي لا يهتز والثقة والتخلي ("في يديك استودع روحي"). لم يعد القلق يتغلب علينا ، ولم يعد النجاح في قدرتنا على التعبير هو الذي يحددنا ولم يعد للخوف وعدم اليقين الهيمنة علينا. "ولماذا نعذب أنفسنا عندما يكون من السهل جداً الطاعة؟" ،[213] يقول كلوديل ، واضعا هذه الكلمات في فم آنا فركور، في *بشارة مريم العذراء*. ومع ذلك، كم هو مقدار الكذب والتحيز في طريقة تفكيرنا ومعاملتنا لأنفسنا والآخرين والأشياء! ما هو أصل ذلك – غالباً ما نسأل أنفسنا –؟ ونرد على الفور: الخطيئة ، ولكن بدون أن نعرف جيدا جوهر الخطيئة حقا. يتبادر إلى ذهننا على الفور افتقارنا الى الطاقة وقوة الإرادة والاتساق. إنه عرض النزعة إلى التزمت الأخلاقي الذي يصاحب كالظل ما نعيش فيه ويجعل أيامنا قاتمة.

لذلك دعونا نحاول أن ننظر إلى هذا الأمر بعمق أكبر بدون أن ندع التزمت الأخلاقي يضلنا في الحال. إن خبرة الخطية هي "حرفيا فقدان الوعي بالآب، أي فقدان الجذب الذي يسمح بحدوث هذا الوعي". في الواقع ، "إذا كنت مرتبطًا بهذا" الأكبر مني "، [...] وإذا كانت طبيعتي هي العيش بوعي، فعندئذ، إذا تخليت عن الوعي بهذه العلاقة، فهذا أمر شرير! الشر هو السلوك البشري الذي يهجر الوعي بهذه العلاقة. [...] إن الشر الحقيقي ونسيج الشر هو هذا النسيان. ما مدى أهمية صلاة الصبح والمساء! كم هو مهم أن نقول أبانا! دعونا نطوع أنفسنا لنقولها ببطء، ونفكر في الكلمات: أنه على الأقل في لحظة من الأربع وعشرين ساعة يصبح المرء إنسانا، حتى يؤثر ذلك على كل شيء! ».[214]

---

210 *المرجع السابق* ، ص. ١٣٢.

211 *أنظر المرجع السابق.*

212 *المرجع السابق* ، ص. ١٣٨.

213 كلوديل ، *بشارة مريم العذراء* ، بور ، ميلانو ٢٠١١ ، ص. ١٧٩.

214 الأب جوساني ، *الملائمة الإنسانية للايمان* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٤.

المشكلة الحقيقية ليست في المقام الأول نقص الطاقة ، ونقص قوة الإرادة والاتساق ، ولكنها النسيان، ونقص الألفة مع الأب. وهي ليست مشكلة قدرة. عندما لا يكون هناك وعي بالآب، أي وعينا كأبناء، يتضاءل هدف الحياة ؛ إذ يصبح تأكيداً خالصا لأنفسنا ؛ أي أننا نفعل كل شيء "لغرض سريع الزوال يلقي بكل شيء إلى العدم. إذا فعلنا ذلك لأنفسنا ، فإننا نلقي كل شيء في العدم. في الواقع، تسعون في المئة بل جميع أفعالنا لها هذا المصير الرهيب ، الذي يجب أن نسير في الاتجاه المضاد له ". لذلك، إلى الحد الذي لا ينمو فيه الوعي بأن حياتنا تهدف الى شيء أكبر، ومع مرور الوقت ، "يغيب عن كل ما نقوم به ، فإننا نرمي كل شيء في العدم".[215] إن فعل ذلك لانفسنا يعادل القاء كل شيء في العدم، ويصبح كل شيء سريع الزوال بسبب غياب العمق والمعنى. ويغيب الهدف المناسب للعمل وللشيء الذي علينا القيام به. وتنتهي الحياة إلى مجرد مظاهر ، وتقتصر فقط على: الأكل والشرب وتكوين الأسرة والعمل ووقت الفراغ ، إلخ. في الآونة الأخيرة، لم يبقى شيء يستحق العيش من أجله أو يجذبنا ويجعل الأشياء ذات معنى. إن قيمة الأشياء، في الواقع، تعتمد على المعنى الذي فيها وعلى عمق الوعي الذي نعيش به. يعيد الأب جوساني طرح حدث مهم وقع له خلال سنواته الأولى من التدريس. "أتذكر – وكنت أحكي ذلك في بداية تدريسي للدين – أنه فور انتهاء الحرب، عندما كانت هناك عربات للماشية، عدت ذات مرة من مدينة سان ريمو، حيث كنت هناك باسم جمعية كاريتاس ميلانو (التي كان يديرها المطران Bicchierai)، وكنت في الدرجة الأولى. ولكن حتى في الدرجة الأولى كانت العربة مزدحمة جداً. كان يجلس بالقرب مني رجل مسن مميز للغاية كان يبدو في السبعين من عمره. أخبرني أنه ذهب إلى سان ريمو لتقديم تبرع كبير للدير. ثم أضاف: "انظر"، ولم يخبرني بالاسم، «أنا حصلت على كل ما أردت تحقيقه في الحياة ، لأن لدي عشرات المصانع والصناعات" – باختصار، كان صناعيًا كبيرًا – "لكن بعد بلوغي السبعين من عمري، أتساءل عما إذا لم أفقد حياتي.»[216] كيف يمكننا أن نتعلم اليوم تلك الألفة مع السر أي مع الآب وبالتالي العلاقة مع الواقع التي أدخله يسوع في التاريخ؟ وينتج عن ذلك إمكانية عدم الاستسلام لإغراء العدمية والشك في عدم الاتساق النهائي للواقع والشك في أنفسنا وفي إيجابية الحياة. ما الذي يمكنه توليد أبناء مثل يسوع اليوم؟

215 *المرجع السابق* ، ص. ١٣٥.

216 *المرجع السابق* ، ص. ١٣٥ - ١٣٦

الفصل السادس

أبناء في الابن

لقد رأينا أن وعي المسيح كان يسيطر عليه التفكير في الآب، وقد حدده الوعي بالآب. لذلك إذا اتبعنا المسيح وإذا قررنا أن نتبعه، "فإن وعي الله يجب أن يتغلغل في ما نقوم به ؛ وببطء، مع مرور الوقت ، يصبح شيئاً مألوفاً. [...] إن فكر الله هو شيء متأصل في كل شيء، أي أنه يتزامن مع طريقة لرؤية كل شيء، زوجتك ونفسك، الخير والشر، بحيث لا يمكن أن يصبح الخير كبرياء والشر لا يصبح اليأس».[217] وعند هذا الحد، يمكن أن يبرز سؤالاً. لقد عرُف يسوع التلاميذ بوعي علاقته بالآب "وأعطى المقدرة لمن قبلوه ليصبحوا أبناء الله".[218] ونحن من يقدمنا اليوم؟ إنه المسيح دائمًا هو الذي يُعرِّفنا على علاقته بالآب. كيف؟

١) من خلال رفقة المؤمنين. الموهبة الملهمة (الكاريزما)

إنه المسيح، كما تذكرنا، [219] يدخل اليوم بقوة في حياتي جاذباً نفسي إليه، من خلال حضور وجسد محدد ولقاء مقنع الذي من خلاله أستطيع أن أعيش نفس خبرة العلاقة معه التي عاشها الأوائل الذين قابلوه. لذلك، إنه في الابن وفي العلاقة مع المسيح الحاضر هنا والآن نصبح أبناءً ونتعلم أن نقول: "أبانا"، للتعرف على السر الذي يجعلنا "أبًا". *أَبَا* هو المصطلح الذي استخدمه يسوع: فهو يعبر عن الألفة في علاقته مع الله التي لم يكن يتصورها أحد حتى ذلك الحين.

كما حدث منذ ألفي عام، نصبح "أبناء في الابن" من خلال الإيمان والمعمودية حيث ننال الروح القدس، روح المسيح ، "الهبة الثمينة والضرورية التي تجعلنا أبناء الله" [220] وأعضاء جسد المسيح ، الذي هو الكنيسة، "الشعب الذي تجمعه وحدة الآب والابن والروح القدس" ، وفقًا للوصف الجميل للقديس قبريانوس المشار إليه في وثيقة *نور العالم*، الذي تم إثراءه بـ "المواهب الهرمية والملهمة"»، التي أُعطيت للمساهمة بطرق مختلفة في بنائها وفي رسالتها. تشير رسالة *Iuvenescit Ecclesia* حول العلاقة بين المواهب الهرمية والملهمة إلى المبدأ الذي أعلنه البابا يوحنا بولس الثاني ، وهو "المساواة في الجوهر" لهذه المواهب ويقتبس من البابا بنديكتوس السادس عشر عندما يؤكد أنه "في الكنيسة حتى المؤسسات الأساسية هي ملهمة ومن ناحية أخرى يجب إضفاء الطابع المؤسسي على المواهب بطريقة أو بأخرى من أجل الحفاظ على التماسك والاستمرارية. وهكذا ، فإن كلا البعدين الذين نشأ من نفس الروح لنفس جسد المسيح، يسهمان معًا في جعل السر وعمل المسيح الخلاصي حاضرين في العالم".[221]

لهذا السبب، تمثل الحركات والجماعات الجديدة المنبثقة من هبة مواهب الروح القدس شهادة هامة عن كيف أن الكنيسة لا تنمو "بالتبشير الدعائي بل" بالجاذبية "".[222] ولا يتوقف البابا فرنسيس عن التذكير بهذه الحقائق الجديدة للانفتاح الإرسالي، والطاعة اللازمة للقساوسة والاستقرار في الكنيسة، لأنه "داخل جماعة المؤمنين تتفتح وتزدهر المواهب التي يغمرنا بها الأب؛ وفي جماعة المؤمنين نتعلم التعرف عليها كدليل على حب الله لجميع أبنائه».[223]

---

217 الأب جوساني، *الملائمة الانسانية للايمان*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٣ - ١٣٤

218 يو 1 ، 12.

219 اراجع هنا الصفحات ٦١ - ٧٠

220 البابا بنديكتوس السادس عشر، *لقاء عام بجماهير المؤمنين*، ٢٣ مايو ٢٠١٢.

221 مجمع عقيدة الإيمان ، رسالة ١٠، *Iuvenescit Ecclesia*).

222 البابا فرنسيس، عظات رسولية. *عقيدة Evangelii* ، في مجمع عقيدة الإيمان ، رسالة *Iuvenescit Ecclesia* ، 2.

223 مجمع عقيدة الإيمان ، رسالة *Iuvenescit Ecclesia* ، 10.

نحن ننتمي إلى الله الآب، نحن "له" بالمعنى الجذري للمصطلح، أي أننا مخلوقاته. لكن اعتمادنا كخليقة "سيظل إدراكاً غامضًا وعابرًا إذا لم يتم الكشف عنه بوضوح لنا في المسيح [في روحه]: "الله – في الحقيقة – لم يره أحد من قبل: الابن الوحيد المولود في حضن الآب، قد كشفه". وفقط بالانتماء إلى الله، أصبح إنسانًا ودخل التاريخ حتى أصبح جلياً ذلك "الاعتماد النهائي والكامل" ونحن خليقته". [224] والانتماء هو للمسيح "وليس للفكرة التي لدينا عن المسيح، ولكن للمسيح الحقيقي الذي يمتد في التاريخ داخل وحدة المؤمنين المتحدين مع البابا، أسقف روما". [225] الابن يجعل سر الآب مألوفًا لنا اليوم من خلال الكنيسة ويصبح حدثًا لنا من خلال نعمة اللقاء مع موهبة – وبالنسبة لنا هي الموهبة التي منحها الله إلى الأب جوساني –. يمكن لروح الله ، في حريته وخياله اللامحدودين ، أن يهب "ألف موهبة ، ألف طريقة لمشاركة المسيح مع الإنسان. تمثل الموهبة بدقة طريقة الزمان والمكان والشخصية والمزاج ، والطريقة النفسية والعاطفية والفكرية التي يصبح بها الرب حدثًا بالنسبة لي، وبنفس الطريقة أيضًا بالنسبة للآخرين. وبهذه الطريقة أتواصل مع الآخرين، حتى يحدث تقارب بيني وبينهم وليس مع كل الآخرين، ويربطنا رباط أخوة أقوى وأكثر تحديداً. هكذا يبقى المسيح معنا كل يوم حتى نهاية العالم، في ظل الظروف التاريخية التي يحددها سر الآب ويجعلنا من خلالها ندرك حضوره ونحبه ". [226] لذلك فإن الموهبة الملهمة "هي دليل الحدث الحاضر اليوم، حيث أنه يحركنا، ... إنها الطريقة التي يجعلنا بها روح المسيح ندرك حضوره الاستثنائي، ويعطينا القدرة على الالتصاق به ببساطة وحب ». [227] تجعل الموهبة الكنيسة حية وتعمل في الحياة الكنسية كلها. «كل من المناهج التاريخية التي يرتبط بها الروح بحدث المسيح هي دائمًا " خاصة "، وهي طريقة معينة في الزمان والمكان والمزاج والشخصية. لكنه شيء خاص يمكننا من الشمولية ". [228] لاحظ البابا يوحنا بولس الثاني بحدة أن «الأصالة الخاصة بالموهبة التي تعطي الحياة لحركة ما لا تدعي ولا يمكنها أن تضيف أي شيء إلى ثراء *تراث الإيمان*، الذي تحميه الكنيسة بإخلاص شديد. ومع ذلك ، فإنه يشكل دعمًا قويًا ودعوة مؤثرة ومقنعة كي نعيش كاملا الخبرة المسيحية بذكاء وإبداع. هذا هو الشرط المسبق لإيجاد إجابات مناسبة للتحديات والحاجات الملحة للازمنة والظروف التاريخية المتغيرة باستمرار. وفي ضوء هذا، تمثل المواهب التي تعترف بها الكنيسة طرقًا لتعميق معرفة المسيح وإعطاء الذات بسخاء أكبر له، وفي نفس الوقت تتجذر أكثر فأكثر في الشركة مع الشعب المسيحي كله ". [229]

إنها ديناميكية ممثلة جيداً في هذه الشهادة: «دخلت أخوية الشراكة والتحرر هذا العام ، وأنا في التاسعة والخمسين من عمري ، وعادة في هذا السن ينهي الشخص الأشياء ولا يبدأها. أذكر أن حياتي كنت تدور حول الحركة عبر عدد من أبناء عمومتي. وهكذا أوقفتني رسالة الأب جوساني من جانب واحد. الشيء الذي أدهشني هو العثور على إجابة لسؤالي: "ولكن من أنا؟ أنا مسيحية في المنزل، وأثناء تناول الغداء مع والدي، وبعد ذلك في المدرسة أنا لا أحد؟ هل أنا مؤمن بالقداس يوم الأحد ، وعندما أكون في منتدى السينما، هل أكون شخص آخر؟ كيف أطابق ما كنت أشعر به في داخلي ليس كخلفية تربوية، ولكن كحاجة، مع كل ما التقيت به في الخارج، ومع الفكر الفريد الذي نشأ بعد أحداث عام ١٩٦٨ وسطحية الحكم المسبق؟ لقد كان سؤالا مستمراً وبحثًا في كل مجال للعثور على ما يعطي معنى وحل لهذا اللغز. وقد وجد هذا السؤال في دعوة الأب جوساني إلى "عيش الواقع" توجهاً أولياً وإمكانية ملموسة.

---

224 الأب لويجي جوساني. ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٨٥.

225 الأب جوساني ، *الحقيقة تولد من الجسد* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٥٤.

226 الأب لويجي جوساني. ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سبق الاستشهاد به، ص. ١٢٧ - ١٢٨ *نقرأ* في *Iuvenescit Ecclesia* : يمنح الله "المواهب الملهمة" إلى الشخص الفرد، ولكن يمكن للآخرين أيضًا المشاركة في هذه المواهب، وبهذه الطريقة تستمر مع مرور الوقت كميراث ثمين وحي ، يولد تقاربًا وتناغماً روحيًا خاصًا بين الناس "(البابا يوحنا بولس الثاني ، الوعظ الرسولي *Christifideles laici* ، n. ٢٤: *أعمال الكرسي الرسولي* ٨١ (١٩٨٩) ، ٤٣٤). إن العلاقة بين الطابع الشخصي للموهبة وإمكانية المشاركة فيها تعبر عن عنصر حاسم في ديناميكياتها، من حيث أنها تتعلق بالعلاقة التي تربط في الشركة الكنسية دائمًا الشخص والمجتمع (راجع *المرجع نفسه* ، ن. ٢٩: *أعمال الكرسي الرسولي* ٨١ (١٩٨٩)، ٤٤٣ - ٤٤٦). يمكن أن تولد المواهب الملهمة في ممارستها تناغماً وتقارباً وعلاقات روحية يتم من خلالها مشاركة التراث الملهم، الذي يبدأ من شخص المؤسس وتعميقه ، مما يعطي الحياة للعائلات الروحية الحقيقية. الجماعات الكنسية، بأشكالها المختلفة، تقدم نفسها كهبات ملهمة مشتركة ». (مجمع عقيدة الإيمان، رسالة *Iuvenescit Ecclesia* إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية حول العلاقة بين الهبات الهرمية والملهمة لحياة الكنيسة ورسالتها ، روما ، ١٥ مايو ٢٠١٦، ١٦).

227 الأب لويجي جوساني. ج. ألبرتو براديس ، *توليد آثار في تاريخ العالم* ، مرجع سبق الاستشهاد به، ص. ١٢٩-١٣٠

228 *المرجع السابق* ، ص. ١٢٩

229 البابا يوحنا بولس الثاني ، *رسالة إلى المؤتمر العالمي للحركات الكنسية* ، روما ، ٢٧ مايو ١٩٩٨.

من الواضح أنه كان من المنطق السليم ما كنت أعرفه في أجدادي، الذين لم يفصلوا بين إيمانهم وحياتهم والذين كانوا مشبعين بالإيمان، في كل فعل قاموا به وفقًا للطبيعة، بطبيعة الحال. ولكني على العكس، وجدت نفسي في حياتي اليومية أعيد مناقشة كل شيء، وكان كل شيء يفقد منطقه. فقدان التوجه والانقسام والسطحية في العلاقات وفي عدم التطرق إلى قضايا كان يجب تناولها. ولكن سمعت، وتصنت تقريباً إلى معلم يشير إلى طريق، لقد كان هناك حل. وبتلك الكلمات البسيطة سرت بحياتي إلى الأمام: "عِش الواقع". (والنتيجة) حياة مكثفة وأربعة أبناء والكثير من العمل والعديد من الصعوبات والعديد من النجاحات وحياة كاملة ومتماسكة. في بحث مستمر، لأن كل ذلك القلق وذلك "الفعل" كان بحثًا وكان رغبة وكان تحسس للطريق واختبار للعديد من الطرق وكل الطرق التي أمكن السير فيها. كنت ألتمس التأكيد والدعم بأسرع ما يمكن. الذي لم أجده. كنت أجد التصفيق على اتساقي وتماسكي أو التأنيب على مغالاتي وأحكامي، ولكن ليس التشارك. ثم يقع حدث غير متوقع. يأتي من يضعني أمام نفسي قائلاً: "لكن أنت، هل في داخلك مسيح حي؟". ليس إجابة. بل سؤال. والجواب كان أمامي، وكان وجهه: وجه مسيح حي في داخلي، اليوم وهنا بجانبي. ليس مسيحاً سيأتي فقط في نهاية العالم، بل هو حاضر بالفعل اليوم وهنا والآن. بالنسبة لي. وتلك اللحظة غيرت حياتي. وهكذا تغيرت طريقتي في الصلاة: لم أعد أُراكِم المزيد من النقاط، في محاولة لاتباع أنماط محددة مسبقًا، ولكن بالتقارب والإصغاء والانتظار وتسليم الذات للعناية الإلهية.

وقد تغيرت حركتي في الواقع التي أصبحت "عيشاً حقيقياً" بحضوره بجانبي وبالتالي بنظرة مختلفة، هي نفس النظرة الذي اختبرتها عندما وقعت عليا، تلك النظرة التي تغير من يقف أمامك لأنكي أنتي التي تغيرت. كل ما قرأته في حياتي وحاولت أن أتعلمه وأدرسه وأفهمه كان شيئًا آخر: ليس تعباً، بل برهان جلي. وهذا البرهان، إذا تعمقته داخل صحبة من الأصدقاء، هو موسيقى لنفسي التي كنت أبحث عنها دائمًا». إذا أدهشتنا الصحبة التي ولّدتها الموهبة الملهمة في الكنيسة وللكنيسة أصابتنا وشعرنا بأننا منجذبون إليها، فذلك لأنها "تجعل من اللقاء مع هذا الانسان (يسوع) خبرة ملموسة ويأخذنا بعيداً عن التجريد ويجعلنا نختبره كحقيقة يمكننا أن نعيشها الآن. الصحبة ليست فكرة أوخطبة أومنطق بل هي حقيقة واقعة وحضور يعني ضمنياً علاقة الانتماء».[230]

٢) السلطة: أبوة حاضرة

ولذلك، تصبح الرفقة الملموسة، حيث يتم اللقاء مع المسيح، "مكان انتماء الأنا لكل واحد منا، والذي نستمد منه الطريقة النهائية لإدراك الأشياء والإحساس بها، وفهمها والحكم عليها بعقلنا، وطريقة التخيل والتخطيط وإصدار القرار والفعل. إن الأنا الخاص بنا تنتمي إلى هذا "الجسد" الذي هو الصحبة المسيحية ومنها نستمد المعيار النهائي للتعامل مع كل شيء. وبالتالي فإن تلك الصحبة هي الطريقة الوحيدة التي تمكننا من عيش الواقع وأن تجعلنا واقعيين».[231]

دعونا نسأل أنفسنا الآن مع الأب جوساني: "ما هو العامل الأكثر أهمية في واقع شعب نحن مدعوون أن نكونه، وفي واقع الصحبة التي نشارك فيها؟". ها هي إجابته: "إن العامل الأكثر أهمية في واقع شعب هو ما نسميه *السلطة*."[232] السلطة هي أهم عامل في واقع الشعب لأنه بدون سلطة لا يولد شعب. والسلطة هي المكان الذي يتضح فيه أن المسيح هو المنتصر، حيث يثبت المسيح أنه يلبي احتياجات القلب بطريقة مقنعة. "السلطة هي شخص يرى عندما نراه يظهر جلياً أن ما يقوله المسيح يتوافق مع القلب. وبهذا يتم إرشاد الشعب".[233]

---

230 الأب لويجي جوساني و ج. ألبرتو براديس، *توليد آثار في تاريخ العالم*، مرجع سابق. استشهد، ص. ٨٦.

231 *المرجع السابق*، ص ٨٥

232 الأب جوساني، «الفرح والغبطة والجسارة. لا أحد يلد، إذا لم يولد»، بمجلة «آثار»، عدد. ٦/١٩٩٧، ص. II.

233 من محادثة بين الأب لويجي جوساني ومجموعة من العلمانيين المتبتلين داخل الحركة (ميلانو، ٢٩ سبتمبر ١٩٩١)، في «من ذلك الرجل؟»، ملحق مجلة «آثار» العدد ٩/٢٠١٩، ص. ١٠.

في مجتمعنا، غالبًا ما يُنظر إلى كلمة "سلطة" بريبة، ويتم تحديدها بقوة تُخضِع أو شخصية قيادية تربط الناس بها. لكن في حياة الكنيسة، في شعب الله، لا يمكن أن يكون الأمر كذلك – كما يؤكد الأب جوساني: «السلطة والقيادة هما عكس القوة والنفوذ تماماً إذ لا يوجد في السلطة ما يشير من قريب أو بعيد الى القوة والنفوذ. لهذا السبب، هي غائبة تماماً، فأمام مفهوم السلطة في شعب الله، على أي مستوى، يغيب تماماً كل انعكاس للخوف: لأن القوة يقابلها الخوف، وحتى يتحرر المرء من السلطة عليه عدم الاهتمام بها تماماً».[234] إذن، ماذا يميز العلاقة بالسلطة والانتماء إلى شعب الله؟ وقد أحسن Péguy في التعبير عن هذه العلاقة بكلمة بنوة بتمييزه بين كوننا تلاميذ وكوننا أبناء:[235] فالانتماء يعني ضمناً البنوة وليس التلمذة أو التكرار. فمن خلال سبل البنوة تدخل فينا قيمة الصحبة الحقيقية وأصالة الموهبة الملهمة (الكاريزما) و"ذلك الشكل من التعليم الذي نتلقاه"[236]. ويذكرنا جوساني بأننا أبناء السلطة. «فالابن يأخذ من سلالة أبيه. ويجعل منها سلالته إذ أن تكوينه هو من سلالة الأب. لهذا السبب هي تجذب كل شيئ: فالسلطة تجذبني كليةً، فهي ليست كلمة تخيفني أو أخشاها أو التي أقرر أنا إتباعها أولاً. إنها تشدني، مثلما يجذبني الله إليه أولاً. لذلك، فإن كلمة السلطة – التي يمكن أن يكون مرادفًا لها كلمة أبوة وإنجاب وتكاثر وإيصال النوع و نسل الحياة ، أي الحدث الذي أثر في نفسي وجعلني مختلفاً بهذه العلاقة – متبوعة بكلمة الحرية وتولد حرية: إذ أن كوني ابناً هو الحرية ».[237]

السلطة هي الأبوة الحاضرة حتى نكون "أبناء في الابن"، أي أبناء في المسيح وليس في المسيح الذي في أذهاننا ولكن في المسيح الحقيقي الحاضر هنا والآن، وكي يدخلنا في علاقته بالآب، ينبغي أن نعيش أبوة حاضرة: إذ يجب أن يكون هناك حضور يلدنا كأبناء. ويؤكد الأب جوساني: «أن يكون لدينا آب هو رصيد دائم لأنه ينتمي إلى تاريخه [وإلى تاريخ حياة كل واحد، إذ أن كل إنسان لديه أب. ولكن هنا النقطة الحاسمة ...]. إذا لم أدخل في عام ١٩٥٤ إلى مدرسة بيرشيه الثانوية ودخلت مدرسة ثانوية أخرى لكان الأمر مختلفًا تمامًا. الرصيد دائم، لكن الإنجاب – وهو أهم جانب في الأبوة – هو الحضور، إنه حاضر».[238] ليس هناك ازدهار لشخصيتنا ولا إبداع حقيقي بدون بنوة وبدون اختبار كوننا مولودين. « *لا أحد يلد إن لم يولد أولاً* . ليس "إذا لم يكن قد وُلِد"، ولكن "إذا لم يُولد". (بالمعنى الروحي) إن مفهوم الأبوة هذا هو المفهوم الذي حاربته كل ثقافة التنوير»[239] وفي مرات كثيرة، حتى بين المسيحيين، وحتى بيننا نحن الذين نلنا نعمة اختبار الموهبة الملهمة التي أعطاها الله للأب جوساني، والتي تمكنا من خلالها من اكتشاف بطريقة جديدة ونابضة بالحياة ما نتحدث عنه.

«لا يمكن للمرء أن يكون أبا، مُنجِباً إذا لم يكن لديه أحد كأب. لا [انتبهوا] إذا "لم يكن لديه في الماضي" [أب] ، ولكن إذا كان "ليس لديه" [في الوقت الحاضر] أحد كأب. فإذا لم يكن لدي أحد كأب، فهذا يعني أن الأمر لا يتعلق بحدث، [...] ولا بإنجاب. *الإنجاب فعل حاضر* ".[240] يقدمنا يسوع إلى أُلفة علاقته بالآب بدعوتنا للعيش، في الصحبة التي جذبنا إليها، أي إلى أبوة حاضرة. فتلك الأبوة هي الطريقة التي من خلالها تصبح علاقة يسوع بالآب هي علاقتنا أي علاقتك وعلاقتي. ولكي يحدث هذا الشيء الجديد، وحتى تشمل العلاقة مع الآب كل حياتنا، إلى أن تصبح معياراً لجميع أفكارنا وأفعالنا، وحتى الأكثر عادية والمبتذلة منها، نحتاج إلى أبوة *الآن*، أي يجب أن نُولد *الآن* بواسطة حضور يصبح فيه المسيح واقع واضح ومقنع وقابل للاختبار: لا يمكننا أن نكون أبناءً في الابن، إلا من خلال ولادتنا الآن.

---

234 *أنظر المرجع السابق.*

235 يكتب بيجي Péguy: «عندما لا يقوم الطالب إلا بتكرار نفس الرنين بل تتبع بائس لفكر المعلم ؛ عندما يكون التلميذ مجرد تلميذ، حتى أعظم التلاميذ، فلن يأتي بأي شيء جديد. يبدأ التلميذ في الإبداع فقط عندما يقدم رنينًا جديدًا بنفسه (أي بالقدر الذي يعي فيه أنه ليس تلميذًا). هذا لا يعني أن المرء لا يجب أن يكون لديه معلم، ولكن يجب عليه أن ينحدر من الآخر من خلال الطرق الطبيعية للبنوة ، وليس من خلال سبل التلمذة المدرسية " . راجع الفصل. Péguy، *Cahiers*، VIII، XI [٣/٢/١٩٠٧]).

236 إنه تعبير معروف جيدًا للكاردينال راتسينجر: "الإيمان هو طاعة القلب لهذا الشكل من التعليم الذي تم توصيله إلينا" (جوزيف راتسينجر، *عرض التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية* ، في جريدة الفاتيكان الرسمية «المراقب الروماني» ، ٢٠ يناير ١٩٩٣ ، ص ٥). راجع. روميه ٦، ١٧.

237 الأب جوساني ، «الفرح والغبطة والجسارة. لا أحد يلد، إذا لم يولد »، *بمجلة «آثار»* ، العدد. ٦/١٩٩٧ ، ص. II.

238 *المرجع السابق* ، ص. IV.

239 *أنظر المرجع السابق.*

240 *المرجع السابق* ، ص. II-IV.

فبدون تلك الولادة في الحاضر، لا يمكن للعلاقة مع الآب أن تصبح وعيًا وحياة فينا ولن يكون لأي جهد القدرة على تخليصنا من قبضة العدم. وقد أوضح الأب جوساني بشكل لا مثيل له الحتمية الجوهرية لهذا "الآن": «إن الحدث لا يحدد فقط شيئًا قد حدث والذي بدأ به كل شيء، ولكن ما يوقظ الحاضر، ويعرِف الحاضر، ويقدم المحتوى للحاضر، ويجعل الحاضر ممكنًا. إن ما نعرفه أو ما لدينا يصبح خبرة إذا كان ما نعرفه أو ما لدينا هو شيء يُعطَى لنا الآن: وهناك يد تمدنا به الآن، وهناك وجه يبدأ في الظهور أمامنا الآن، وهناك دم يتدفق الآن، وهناك قيامة تحدث الآن. لذلك خارج هذا "الآن" لا يوجد شيء! لا يمكن للأنا أن تتحرك وتتأثر عاطفياً أي تتغير إلا من خلال شيء معاصر لها: أي من خلال حدث. المسيح هو شيء يحدث لي الآن. لذلك، حتى يكون ما نعرفه – المسيح ، كل الحديث عن المسيح – اختباراً، ينبغي أن يكون حاضراً يثيرنا ويهزنا: إنه حاضر كما كان في الماضي بالنسبة لأندراوس ويوحنا. المسيحية، المسيح، هي بالضبط ما حدث مع أندراوس ويوحنا عندما تبعوه. تخيلوا كم كان تأثرهم! عندما استدار يسوع ونظر إليهما. وعندما ذهبوا إلى منزله ... وهذا ما يحدث دائما حتى الآن، حتى هذه اللحظة! ».[241] ومع ذلك، لا يكفي وجود هذه الأبوة الحاضرة، إذ يجب أن أكون راغباً في السماح لولادتي من هذه الأبوة . إذ أن كل خصوبة حياتنا تتوقف على استعدادنا أن نكون أبناء. «هذا ما قاله يسوع نيقوديموس: "يجب أن تولد من جديد." "كيف؟ أُولد من جديد؟ هل يجب أن أعود إلى رحم أمي لأولد ثانية؟" "أولئك الذين لم يولدوا مرة أخرى لا يمكنهم فهم حقيقة الواقع وحقيقة الأشياء". هذا الفهم هو ولادة جديدة"[242] إن من يقبل اتباعه بأن يصبح ابناً سيندهش من الأشياء الجديدة التي تبدأ في الحدوث في حياته.

٤) الطاعة

ومع ذلك يحثنا الأب جوساني على القيام بخطوة أخرى، والتي يعتبرها حاسمة لنمو وعي جديد لذاتنا. قلنا أعلاه: التغير الجذري هو استعادة ***الإيمان كاعتراف***، وكفهم للأشياء الجديدة التي فينا وبيننا، *وكطاعة*. لقد تعاهدنا على العودة من جديد إلى هذه الكلمة. «إن الطاعة ، التي يدعو إليها هذا الفهم، تتطلب اجتياز حالة من الإذلال والامتهان: ويجب علينا أن أتعامل مع ما نسميه" سلطة ". إذا كان ما سوف أذكره ينطبق على سلطة الكنيسة التي صنعها المسيح، فإن الأسقف المتحد مع باقي الأساقفة ومع البابا، بالمماثلة وبالتطبيق على مستويات أدنى، ولكنه حقيقي وحاسم تربويًا، ينطبق على أي حضور لعامل "السلطة" أو "المصداقية "في الحياة المسيحية".[243] يجب شد الانتباه إلى هذه النقطة، لأنه "بدون هذه العلامة" – السلطة – "لن تكون هناك صحبة فيما بيننا ولن يكون هناك سر الكنيسة ولا شعب جديد يسير في العالم ومن أجل خير العالم: بدون سلطة لن تكون هناك الأشياء الجديدة التي دعانا المسيح أن نعيشها معا ".[244] في مسيرة التغير الجذري للذات، الذي تحدث عنه في عام ١٩٧٥، يلاحظ الأب جوساني أن "العلاقة مع عامل المصداقية أو السلطة هو عامل حاسم من الناحية التربوية: وبتجاهل هذا العامل نصبح غباراً تبعثره الرياح على وجه الأرض بالكامل، ونصبح من جديد أطفالاً متذبذبين، كما يقول القديس بولس في الفصل الثاني من رسالته إلى أهل كولوسي: "... تتبعون كل ريح عقيدة وتكونون عرضة لخداع البشر ومكرهم لتضليل الجميع"». لذلك – يواصل – «السلطة بيننا ليست رأيًا ثقافيًا يجب مناقشته، وليست تقديماً لرأي مثل أي رأي آخر: إذ أن الوظيفة الرسمية للسلطة هي اقتراح يتم فيه تناول وحدة خبرتنا كلها الإنسانية والمسيحية ".[245]

---

241 الأب جوساني، نص ملصق عيد القيامة لعام ٢٠١١، لحركة الشراكة والتحرر .

242 الأب جوساني، *الملائمة الانسانية للإيمان* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٣٠.

243 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

244 الأب جوساني، *حدث في حياة الإنسان* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٢٢٩.

245 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

في المقطع التالي، يتم إيضاح كل من طبيعة السلطة و بالتالي طبيعة العلاقة المدعو إليها كل منا: "السلطة، بقدر ما تقترح خبرة حياة، على وجه الخصوص، تتطلب مشاركة حياتنا كاملةً: فالسلطة هي العلامة العليا للسر، سر مخطط الآب. إنها العلامة العليا للسر التي هي بيننا كقصة في حالة تحول وصيرورة وتقع أحداثها حالياً ». لهذا السبب ، أي حقيقة أن السلطة هي العلامة العليا للسر الذي بيننا، "إن التفاني المنتبه للوظيفة الرسمية للسلطة هو الطاعة، الطاعة للرب، وليس من أجل حساب يتحول إلى نقاش، وبالتالي يأتي أمامها ممارسة الايمان. لهذا السبب لا يمكن أن تكون هناك مصداقية بيننا إلا في داخل إخلاص حقيقي لوحدة الحركة كلها. وهكذا، بالمثل، لن يكون للحركة سلطة ذات مصداقية إذا لم تسعى بعمق إلى عيش هذا الإخلاص للسلطة التي وضعها المسيح »[246] يقدم لنا هذا المقطع أيضًا الإشارات والمعايير للاعتراف وتقييم كل "سلطة" داخل الصحبة المسيحية التي انخرطنا فيها. وهنا الأب جوساني دقيق للغاية في الوصف. «ما نقوله عن الحركة هو دائما شأن تربوي. إن جهدنا هو محاولة تربوية لإنضاج معنى الكنيسة في حياتنا: [الحركة] هي الخبرة التي دعانا الرب أن نعيشها لهذا الهدف. لذلك، لا يتم اتباع موقف للسلطة لا يتم طرحه والإحساس به وإدراكه في إطار أمانة عميقة لحياة الحركة بأكملها ووحدتها. أو إذا نجحت السلطة في أن تجعلنا نتبع موقفها، فهي استبدادية وبالتالي هي تدفع الجميع الى حالة من الاغتراب، فهي تقوم بفرض الأشياء بطريقة أو بأخرى. إن السلطة بالمفهوم الدنيوي هي حجر عثرة، وليست حجَرْ بناء ".[247]

فالسلطة الأصيلة هي عامل جوهري للبناء. فالسلطة بمفهومها الدنيوي، أي كقدرة، هي استبداد منفر وحجر عثرة ولا تبني. لكن هذه ملاحظات تتجاوز نطاق الخبرة المسيحية. ففي الواقع، نحن نتحدث عن احتياج وبُعد يخص الجميع، مؤمنين وغير مؤمنين. إن ما يحدث مع المسيحية هو تكثيف وتحقيق للديناميكية الانسانية. وبعيداً عن الأرقام المحددة، إذن، فإن السلطة الحقيقية (*auctoritas* ، "أي التي تساعد على النمو") هي عامل لا غنى عنه في نمو الأنا، وفي بناء شخصيتنا. تعلن خبرة السلطة نفسها في حياتنا كلقاء مع شخص غني في وعيه بالواقع، والذي يدخل بنا في مجموعة من الظروف المعقدة بتجسيد "فرضية المعنى" لتفسير تلك الظروف ومواجهتها بشكل مناسب، وبدعوتنا في نفس الوقت إلى اختبار تلك الفرضية، للتحقق بطريقة مباشرة من اتساقها وتماسكها. ثم يواصل الأب جوساني قائلاً: "السلطة بطريقة معينة هي "الأنا" الأكثر حقيقية. ومع ذلك ، غالبًا ما تقدم السلطة نفسها اليوم ويُنظر إليها على أنها شيء غريب، "يضاف" إلى الفرد. تظل السلطة فاقدة للوعي، حتى لو كان ذلك قصور نقبله بتقوى».[248] عندما تسود حالة الاغتراب هذه، ندرك السلطة كعائق أمام نمو الأنا وليس كعامل مساعد لنموها. وبسبب ذلك الاغتراب الذي يتم عيشه والترويج له – يلاحظ الأب جوساني قائلاً – أن "ثقافة اليوم تعتبر أنه من المستحيل معرفة وتغيير الذات والواقع" فقط "باتباع شخص. ففي عصرنا، لا يتم التفكير في الشخص كأداة للمعرفة والتغيير ، حيث يتم فهمهما بطريقة مختزلة، فالأولى كانعكاس تحليلي ونظري، والثاني كممارسة وتطبيق لقواعد. وعلى العكس من ذلك، نجد يوحنا وأندراوس، أول من التقيا بيسوع، باتباع ذلك الشخص الاستثنائي تعلما أن يعرفا أنفسهما والواقع وتغيير أنفسهما بشكل مختلف. فمنذ لحظة اللقاء الأول، بدأ المنهج في التطبيق بمرور الوقت ».[249]

ويمدنا كامو Camus، في سيرته الذاتية العميقة التي تحمل عنوان *الرجل الأول* بشهادة على الاحتياج الأساسي لسلطة لا نضيفها خارجياً إلى الأنا، بل لسلطة أبوية: "حاولت منذ البداية، وما زلت أتوق لأكتشف بنفسي ما هو الخير وما هو الشر – حيث لم يكن أحد من حولي قادرًا على إخباري بذلك. والآن بعد أن تخلى عني كل شيء، أدرك أنني بحاجة إلى شخص يبين لي الطريق [...] ليس باسم سلطة القوة ولكن باسم تلك السلطة، إنني أحتاج إلى أبي».[250]

---

246 *أنظر المرجع السابق.*

247 *أنظر المرجع السابق*

248 الأب جوساني ،*المخاطرة التربوية* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ٨٤.

249 الأب جوساني، "المنهج ينبع من الايمان" ، من *المنهج ينبع من الايمان*، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٨ .

250 ألبير كامو، *الرجل الأول* ، بومبياني ، ميلانو ١٩٩٤ ، ص. ٣٤.

هذا ما يتم تحقيقه في الخبرة المسيحية، ويظهر نفسه بكل جوهره. «كي نبني نحتاج إلى أرض صلبة وثابتة تمامًا، وإلا فلن نستطيع البناء. وما هو الشيء الصلب والثابت الذي لدينا إن لم يكن سر المسيح الذي بيننا والذي نحن على يقين من ثبات كنيسته، بإطاعة سلطة هذه الكنيسة، التي كلفتنا الكثير وستكلفنا أكثر؟ "[251] بعد التأكيد على الطاعة، كما قال الأب جوساني – في عام ١٩٧٥، لكن كلماته تحتفظ بصلتها بالوضع الذي نحن فيه – ويعود إلى النقطة الأولى من تأمله الفكري، محذراً محاوريه من نقيض: بين السعي لإرضاء الذات والسعي لتغييرها الجذري. "إذن أود منكم أن تفكروا جيداً في هذا التناقض، الذي أعزو إليه خطر الفصل بين الجذر الذي يغذي، وبين المنبع الذي يغذي ذكائنا بالإيمان وإرادتنا، وطاقة التزامنا المسيحي، وكل الأنشطة التي تطلبها منا الظروف التاريخية التي جعلنا الله نعيش فيها. لسوء الحظ ، جاءنا الوقت الذي لا يمكننا الجلوس فيه لأنه وقت يحترق فيه المنزل. البيت البشري يحترق. حسنا. أرى في هذا التناقض الخطر الذي يشجع على الانفصال بين الجذر وازدهار الشجرة، بحيث يتم تجفيف النبات المنفصل عن الجذر: إنه النقيض بين الوجود في الحركة وفي الجماعة وفي الحياة المسيحية نفسها كسعي للرضا الذاتي بدلاً من السعي للتغيير الجذري الذات. »[252] إن راديكالية النقيض ووضوحه يشجع بطريقة ما ويجعل المقارنة مع أنفسنا أمرًا لا مفر منه. والخطر الذي يبقى كإغراء لكل منا، هو الانزلاق إلى "السعي لتأكيد الذات وفقًا لما نعتقده ونشعر به ووفق اهتمامنا، بدلاً من التغير الجذري بمعايير ما نفكر فيه ونشعر به ونهتم به. ليس بدون سبب استخدام الرب، كالكلمة الأولى، كلمة «التغيير الجذري للذات» " *metànoia* ": إذ يجب تغيير معايير التقييم. قيمة الحياة ، وبالتالي قيمة الحركة والجماعة وقيمة التزامنا في حركة الشراكة والتحرر ليست في القدر الذي يشبع اهتماماتك (لأنها ترفع من تقديرك لذاتك، وتفسح لك المجال لتكوين صداقات، وتتعرف على فتاتك، أو فتاك، ومشاركة أفكارك) ، لكن القيمة تكمن في التحول الجذري إلى الإيمان الذي يحدث [فيك]. لذلك دعونا نركز على هذا ».[253]

٤) «المئة ضعف على هذه الأرض»

إن أسهل طريقة تحثنا على التغير الجذري – بالنسبة لنا مثل الآخرين – هي شهادات الحياة التي تصل إلينا. لذلك اسمحوا لي أن أقترح اثنين من العديد منها التي تحيط بنا بنعمة الرب. قبل تفشي الوباء، تلقيت هذه الرسالة التي تعطينا مثالا بسيطًا للتغير الجذري المستمر الذي نتحدث عنه:

«كانت السنة الماضية صعبة للغاية. لقد انغمست أنا وزوجي تمامًا في وظائفنا الجديدة، وبعد فترة أدركنا أننا ضللنا الطريق: لقد كنا على قيد الحياة فقط ، إلى الحد الذي أدى إلى صعوبات خطيرة في علاقتنا. كان لدينا القليل من الوقت للقيام بأي شيء، وقليل من الأصدقاء، ومعظمهم بعيد جداً. وفي مرحلة معينة، كان علينا التوقف وسؤال أنفسنا عما ضاع. قررنا أن نعود خطوة إلى الوراء في حياتنا المهنية ونبدأ الدراسة مرة أخرى،[254] التي أهملناها منذ شهور. من أجل أن نكون قادرين على الذهاب إلى مدرسة الجماعة معًا، كان علينا أن نوظف جليسة أطفال – تضاف تكلفتها إلى التكلفة التي تم دفعها لأولئك الذين احتفظوا بالأطفال خلال النهار – وقررنا الالتزام بهذه الطريقة في المساء الوحيد الذي يمكن أن نقضيه معًا. أدركنا على الفور أنه من خلال الذهاب إلى مدرسة الجماعة كنا أكثر سعادة: كان ذلك واضحًا وكان شيئًا يخدم أيضًا علاقتنا. لقد فوجئت بالترحيب الذي تلقيناه هناك – لم أتخيله أبدًا – وفي كل أسبوع أشعر بالدهشة من الوافدين الجدد. الطريقة التي يتحدث بها الكثير من الناس عن لقاءهم مع المسيح في كل لحظة من رحلتهم أو الأسئلة التي يطرحونها على أنفسهم هي فرصة لي للقاء مرة أخرى بنفس الحضور الذي ملأ حياتنا في البداية. إنه يحدث لي من جديد! بعد أن قضيت خمسة عشر عاماً داخل الحركة، لم أشعر أبدًا بسعادة كهذه عند ذهابي إلى مدرسة الجماعة.

---

251 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

252 *أنظر المرجع السابق*

253 *أنظر المرجع السابق*

254 راجع التعليم المسيحي الدائم في حركة الشراكة والتحرر.

إنه عمل نحاول القيام بها أيضاً خلال الأسبوع والذي يضيء أيامنا. تعلمني مدرسة الجماعة طريقة أخرى للنظر إلى الواقع بطريقة أكثر حقيقية وأكثر شمولية. ومنذ أن بدأنا في استئناف اتباعنا للحركة مرة أخرى، نجد أنفسنا أكثر انفتاحاً تجاه الأشخاص الذين نلتقي بهم، لأننا جميعاً نريد التعرف على صدى وجوده وفي كل شيء نريد أن نعيش فيه نفس ملء القلب. هذا المظهر المليء بالتعاطف واللطف لشخصي، وهو الطريقة التي دخل بها المسيح إلى حياتي، هو الشيء الوحيد الذي يتوافق حقًا مع رغبتي الحقيقية. وكل شيء آخر يأتي لاحقًا. وأدركنا أنه يمكننا رؤية الصدى في كل مكان بفضل تجديد اللقاء الأول. الآن لديه العديد من الوجوه! إنه أمر يثير الحماس رؤية صحبتنا في جيراننا وفي كاهن رعيتنا وفي زملائنا أو في الأشياء الصغيرة التي تساعدنا بحدوثها البسيط. بعد ذلك، كان العمل الذي قمنا به في هذا العام ثميناً: إذ أدركنا ما يساندنا حقًا، بإيمان أكثر نضجاً وأكثر وعياً وحرية وبهجة. نشكرك على مساعدتنا في السير في طريق الاكتشاف والوعي هذا. يقول يسوع في العشاء الأخير: "بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيء". يمكننا التأكيد من واقع الخبرة التي نعيشها بأنه على حق ». كما يكتب القديس برناردوس، "ما يأتي من الله لا يمكننا الاحتفاظ به والحفاظ عليه بدونه".[255] وهذا يعني أنه بدون الحدوث المتكرر لحضوره وبدون أن نتبعه، لا يمكننا إعادة إنتاج تلك الثمار التي تذوقناها أيضًا. الطريق إلى الحقيقة هي خبرة: إن عبقرية الطريقة التربوية للأب جوساني موجودة كلها هنا.

أود أن أقدم شهادة ثانية، مهمة لما هو جديد في الحياة التي توثقها. هي امرأة شابة غير قادرة على إنجاب أطفال. «تزوجت منذ أربع سنوات وبدأت أنا وزوجي على الفور في البحث عن ابن لم يصل بعد. كانت هناك لحظات صعبة للغاية، عندما كان البكاء هو عمل اليوم، ولا يمكن لأحد، من زوجي إلى أصدقائي، أن يهدئني. بالنسبة لي كل شيء توقف على هذا الطفل الذي لم يصل. لقد حددت حياتي كلها بشيء جزئي، كما لو أن الإمكانية الوحيدة للسعادة بالنسبة لي كانت من خلال الإجابة التي كنت أفكر فيها لرغبتي في الأمومة. قال لي زوجي ذات مرة: "اسمعي، دعينا نذهب إلى الكاهن الذي زوجنا." مع معرفتي بأن من أول الأشياء التي سيسألني عنها: "هل بقيت مخلصة لمدرسة الجماعة"، فتحركت أولاً وبدأت في قراءة النص حتى لا أجيب دائمًا بالرفض. كنا نقرأ كتاب *لماذا الكنيسة*. عند نقطة معينة يقول الأب جوساني: "إن وظيفة الكنيسة في التاريخ [...] هي الإشارة الأمومية إلى حقيقة الأشياء: اعتماد الإنسان على الله. [...] وإذا عشنا الوعي باعتمادنا الأصلي عليه [...] سيتم وضع جميع المشاكل في وضع يسهل حلها. [...] في الواقع، يحتاج الأمر الى نظرة مباشرة على شيء أكبر من المشكلة الواحدة، والذي يمكنه أن يعطي كل شيء منظور طريق صالح ".[256] يا له من شعور بالارتياح! كنت – قبل كل شيء – محاطة بزوجي وأصدقائي. وذات يوم اتصلت بي صديقة، وتحدثت عن نفسها فقالت لي: "تحملي وتكونين سعيدة ثم تدركين أنه حتى هذا لا يكفيك. النقطة هي ما الشيء الذي ترتكز عليه حياتنا ". وبين عشية وضحاها توقفت عن البكاء في الحال وبدون سبب. لقد تغيرت وأصبحت هادئة لدرجة أنني أستطيع أن أحكي كل هذا دون أن أبكي: لم أتغير بالتعريفات، بل من خلال الوجوه والحقائق. وجدت نفسي في الطريق وبنظرة جديدة على متاعبي، والتي لا تزال موجودة. ما أجده في نفسي هو فرحة لا تأتي مني والتي تسمح لي أن أضع ثقتي بالكامل في مخطط الله والذي يملأني بالامتنان. التعب موجود ويبقى، لكن يمكنني أن أنظر إليه بهدوء وصفاء. قال القديس أغسطينوس: "قلبي لا يهدأ حتى يستقر فيك." أحتاج إلى الله ليملأ حياتي حتى أتخلى عما في ذهني. لا يمكنني التخلص من رغبتي لأنها موجودة. ولكن الآن لم أعد أقع في التظاهر بأن الإجابة تأتي كما أفكر في ذهني: أنا في انتظار إجابة الآخر (الله) على رغبتي ، فأنا أميل إلى فهم هذه الإجابة. بالانطلاق من المسيح من جديد، لم تعد هذه الصعوبة حملاً ساحقاً. بمجرد أن أبتعد عن المسيح، يتسلل فيا القلق والخوف وتتغلب أفكاري وينتصر عليا البكاء.

255 القديس برناردوس، "العظة الأولى " ، في المرجع السابق ، *عظات عن المزمور ٩٠*، حرره الرهبان البينديكتيين في براليا، إيديزيوني سكريتي موناستيتشي ، بريسيو دي تيولو (بادوا) ١٩٩٨، ص. ٧ - ٨

256 الأب جوساني ،*لماذا الكنيسة* ، مرجع سابق. استشهد ، ص. ١٩٩ و ٢٠١ و ٢٠٣

وعندما أبدأ من حضوره، يكون الحكم الأخير بدلاً من ذلك هو هذا الفرح وهذا السلام الداخلي الذي غزا حياتي. وعندما أنظر إلى حياتي كلها، أعلم أن المسيح لا يخدعني. عندما أقرر أن أبدأ من جديد من المسيح، فإن حضوره يجعل حياتي أكثر حقيقية وأحلى مذاقاً وأكثر إنسانية وأكثر جمالاً. وهذه معجزة في عيني وفي عيون الآخرين ". كيف لا نستطيع أن نبقى صامتين وممتلئين بالدهشة أمام شهادة إنسانية كهذه تغيرت بلقائها بحضور المسيح الجسدي! ويساعدنا التأكيد التالي الذي أدلى به الأب جوساني على إبراز أهميته. "المسيح لم يأت ليقول: "أولئك الذين يتبعونني سيرضون كل نزواتهم وأفكارهم ومصالحهم". لا! لكنه قال: "أولئك الذين يتبعونني يغيرون المعايير، ويبدأوا في تغيير معايير التقييم والقيمة والحكم على القيمة". وإذا فعل أحدكم ذلك، فسيكون لديه مئة ضعف حتى ما بدا أنه فقده. "من يتبعني ستكون له حياة أبدية ومئة ضعف هنا." لا يوجد اقتراح في العالم أكثر وضوحا وأكثر دقة من هذا، لأنه يتحدانا بالخبرة. "أولئك الذين يتبعونني سيكونون أكثر وسيجدون أكثر ومئات المرات". ولكن "من يتبعني"![257] من يقبل باتباعه ليكون ابنًا في الابن يصبح إنساناً جديداً، "بطل جديد في المشهد العالمي"،[258] كما قال الأب جوساني لسينودس الأساقفة عن العلمانيين في عام ١٩٨٧.

مهمتنا في العالم هي هذه الجدة. «إن معنى حضورنا الشخصي والجماعي في العالم وقدرتنا على لقاء الإنسان وقدرتنا على اللقاء يتأسس فقط على شيء جديد في الحياة التي هي خبرة اليوم. فقط بالقدر الذي نختبر فيه اليوم علاقتنا بالمسيح وبالعلاقة الجديدة بيننا من خلال حضوره، فقط بالقدر الذي نختبره اليوم يمكننا أن نخلق المزيد من الإنسانية حولنا والمزيد من السلام بين الناس من حولنا ".[259]

٥) «بالنسبة للعالم فقط الحب هو ذو المصداقية»

أود أن أختتم بالتهنئة التي وجهها الأب جوساني إلى أولئك الذين كانوا في ميلانو للاستماع إليه في سبتمبر ١٩٧٥، حتى يتمكن كل واحد منا أن يحفظ في قلبه كسند في مسيرة الحياة اليومية التي تنتظرنا: «سنكون دائمًا داخل الصعوبات حتى العنق أخلاقيًا وجسديًا وشخصيًا واجتماعيًا، لكننا لن ننهار أبدًا ، كما يقول القديس بولس في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس في الفصل الرابع: "نحمل كنز نعمة المسيح هذه في أواني من الخزف [أي أن الله فعل ذلك] حتى نفهم أن القوة تأتي من الله [وليس منا وليس لمهارتنا، بل لأننا ضعفاء كالخزف]. لذلك نحن مضطربون في كل شيء ، لكن لم ننكسر أبداً. نحن في حيرة من أمرنا، لكننا لا نيأس أبدًا؛ نحن مضطهدون، لكننا لا نشعر أبدًا بأننا متروكين ؛ يتم ضربنا لكن لا أحد تمكن من القضاء علينا؛ نحمل في أجسادنا دائمًا موت يسوع هذا في كل مكان حتى تظهر حياة يسوع أيضًا في أجسادنا "وبالتالي في هذا العالم".[260] إذا كنا مخلصين للنعمة التي وصلت إلينا من خلال موهبة الأب جوساني الملهمة – نحن الذين انجذبنا إليها ونود أن نتبعها – إذا عشنا الحركة كتغير شخصي إلى الحدث الحاضر "وبتمركزنا في المسيح والإنجيل" يمكننا أن نكون "أذرع وأيادي وأقدام وعقل وقلب كنيسة " منفتحة "،[261] بالتعاون مع البابا لمستقبل الكنيسة في العالم، ذلك المستقبل الذي صكه الكاردينال راتسينجر في عيد الميلاد عام ١٩٦٩: «إن مستقبل الكنيسة يمكن أن يأتي وحتى اليوم لن يأتي إلا من قوة أولئك الذين لهم جذور عميقة ويعيشون بملء إيمانهم الصافي. لن يأتي من أولئك الذين يصفون الوصفات فقط. لن يأتي من أولئك الذين يتأقلمون من وقت لآخر مع اللحظة العابرة [...]. دعونا نقول هذا بطريقة إيجابية: مرة أخرى ، كما هو الحال دائمًا، إن مستقبل الكنيسة سيأتي لنا بقديسين جدد. [...] ومرة أخرى من أزمة اليوم ستأتي الكنيسة غداً وقد خسرت الكثير. سوف تصبح أصغر وسيجب عليها أن تبدأ من جديد.

---

257 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

258 الأب جوساني ، *الحدث المسيحي*، بور، ميلانو ٢٠٠٣ ، ص. ٢٣ - ٢٥

259 FCL، *الوثائق السمعية والبصرية*، يوم بداية العام لحركة الشراكة والتحرر، ميلانو ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٥.

260 *أنظر المرجع السابق*

261 البابا فرنسيس، *خطاب لحركة الشراكة والتحرر*، بساحة القديس بطرس، ٧ مارس ٢٠١٥.

لن تكون قادرة على ملء العديد من المباني التي أقامتها في أيام رخائها. إلى جانب فقدان أتباعها عددياً، ستفقد أيضًا العديد من امتيازاتها في المجتمع. ستقدم نفسها بطريقة أكثر وضوحًا مما كانت عليه في الماضي كجماعة الإرادة الحرة، والتي يمكن الدخول فيها بقرار فقط. وكجماعة صغيرة ستحث مبادرة أعضائها بقوة أكبر بكثير. [...] وسوف تعترف مرة أخرى بمركزها الخاص في الإيمان والصلاة وستختبر الأسرار مرة أخرى كخدمة إلهية وليس كمشكلة طقسية. [...] و يمكننا أن نتوقع أن كل هذا سيتطلب وقت. ستكون العملية طويلة ومرهقة [...]. ولكن بعد محنة هذه الانقسامات ستخرج قوة عظيمة من كنيسة غنية روحياً وبسيطة. في الواقع، سيكون البشر وحدهم بشكل لا يوصف في عالم مخطط تمامًا. وعندما يختفي الله تمامًا لهم سيختبرون فقرهم التام والخوف. وسوف يكتشفون بعد ذلك جماعة المؤمنين الصغيرة كشيء جديد تمامًا. وكأمل يتعلق بهم وكإجابة على الأسئلة التي طالما طرحوها على أنفسهم سراً. يبدو لي أمر يقين بأنه يجري إعداد أزمنة صعبة للغاية للكنيسة. [...] لكن الكنيسة ستشهد ازدهارًا جديدًا وستظهر للبشر كوطن يمنحهم الحياة والأمل حتى ما بعد الموت ".[262] قال الأب جوساني، بعد أقل من خمسة عشر عامًا، مردداً هذه "النبوءة"، المنظور الجديد الذي ينفتح علينا في هذا الوقت: "هنا، هذا هو الوقت الذي سيكون فيه من الجميل أن يكون هناك اثني عشر فقط في العالم."[263] لم يقل ذلك بسبب شكل من أشكال التفرد أو الزعم، ولكن للوعي بأننا عدنا كأننا في البداية، بداية كل شيء. وكما في البداية ، الشيء الوحيد الذي يمكنه أن ينقذنا من قبضة العدم هو اختبار حداثة الحياة اليوم. فقط هذه الجدة يمكن أن تكون ذات مصداقية اليوم. "تصبح حبة القمح المسيحية قادرة حقًا على إعطاء الشكل فقط إذا لم تغلق نفسها في شكل خاص وهمي، يعيش جنبًا إلى جنب مع أشكال أخرى من العالم ويصبح ثانويًا ويدين نفسه بالعقم، ولكن إذا اتبعنا مثال يسوع بتخليها عن ذاتها وبتضحيتها بدون أن تضطرب من القلق والألم الناجم عن الخروج من ذاتها والغوص والانغماس في العالم. لأنه بالنسبة للعالم الحب فقط هو المصداقية ".[264]

262 جوزيف راتسينجر ، *الإيمان والمستقبل* ، Queriniana ، Brescia 1984 ، ص. ١١٢ - ١١٧

263 الأب جوساني، *نحن على يقين ببعض الأشياء العظيمة (١٩٧٩ - ١٩٨١)* ، بور، ميلانو ٢٠٠٧ ، ص. ٣٩٦.

264 فون بالتسار ، "الحب فقط هو المصداقية" ، في Id. ، *تصور الحب* ، Jaca Book ، Milan ٢٠١٠ ، ص ١٤٤

الفهرس

المقدمة ٣

الفصل الأول

العدمية كحالة وجودية ٤

١) الشك في اتساق الواقع وإيجابية الحياة ٤

٢) فقدان معنى على قدر مستوى حياتنا ٦

٤) الحرية أمام بديل ٧

٤) عدم انفصام الرغبة ٩

٥) صرخة فيها الجواب ١٠

٦) "أنت" الذي يحتضن الصراخ ١٢

الفصل الثاني

«كيف نملأ هوة الحياة العميقة هذه» ١٣

١) محاولات غير كافية ١٣

٢) إنسانيتنا ١٦

٣) " فن ''الإحساس'' بكامل الإنسان " ١٨

الفصل الثالث

«الجسد هو حجر الزاوية للخلاص» ٢٠

١) حضور جسدي ٢٠

٢) يسوع الناصري العبراني ٢٣

٣) حدث ٢٥

٤) يكفي الاهتمام الصادق لمعرفة الحقيقة ٢٨

٥) اعتراف اسمه إيمان ٢٩

٦) الحرية والثقة ٣٠

الفصل الرابع

طريق يدوم مدى الحياة ٣٢

١) ضرورة المسيرة ٣٢

٢) إغراء إثبات الذات ٣٤

٣) التغير الجذري. واستعادة الإيمان بلا توقف ٣٦

الفصل الخامس

العلاقة مع الآب ٤٠

١) إن حياتنا تعتمد على آخر ٤٠

٢) اتباع يسوع: بأن نكون أبناء ٤٣

٣) الشر هو النسيان ٤٦

الفصل السادس

أبناء في الابن ٤٨

١) من خلال رفقة المؤمنين. القوة الملهمة ٤٨

٢) السلطة: أبوة حاضرة ٥٠

٣) الطاعة ٥٢

٤) «المئة ضعف على هذه الأرض» ٥٤

٥) «بالنسبة للعالم فقط الحب هو ذو المصداقية» ٥٦

يقوم رئيس أخوية الشراكة والتحرر، في هذا الكتاب، بقياس نفسه بهذا الزمن الذي يُفقد الانسان توازنه وفيه يخيم العدم بقوة على حياة كل واحد منا بزرع الشك في إيجابية الحياة وفي الاتساق النهائي للواقع، لذلك يبدو أن كل شيء ينتهي الى عدم ونحن أيضاً. إنه سياق يبرز، بطريقة مفارقة، عدم إمكانية تحملنا العيش بدون معنى ورغبتنا التي لا تموت في أن مرغوبين ومحبوبين. إنها مقارنة جذابة مع الأحداث الحالية ومع المحاولات الغير كافية للبقاء على قيد الحياة وسط شرود الانتباه والنسيان.
إنه البحث عن إجابة ترقى إلى مستوى التحدي: "أنت" الذي يحتضن صراخ إنسانيتنا، ويعيد إحياء حبنا لأنفسنا وحياتنا. فاللقاء مع جماعة مسيحية حية يجعل المسيرة سوياً خبرة رائعة. إذ أن شهادة إيمان تدخل في خبرة الحاضر، يولد معرفة وعاطفة جديدين. إنه إيمان قادر على إعطاء القيمة لكل ما هو حقيقي وجميل وخيرٍ يلتقيه في الطريق.

ولد **الأب يوليان كارون** في عام ١٩٥٠ في مدينة نافاكونسيهو (أسبانيا). ورسم كاهناً في عام ١٩٧٥ وقام بتدريس الكتاب المقدس في جامعة سان داماسو بمدريد. ثم انتقل للعيش في مدينة ميلانو منذ عام ٢٠٠٤ بدعوة من الأب جوساني ليشاركه مسئولية قيادة حركة الشراكة والتحرر. وهو حالياً الرئيس العام لأخوية الشراكة والتحرر منذ ١٩ مارس ٢٠٠٥. منذ العام الدراسي ٢٠٠٤/٢٠٠٥، كان أستاذًا في اللاهوت في الجامعة الكاثوليكية للقلب المقدس في ميلانو. وصدر له كتاب **الجمال الأعزل** في عام ٢٠١٥ وكتاب **أين** الله؟ في عام ٢٠١٧ وكتاب صحوة الإنسانية في عام ٢٠٢٠.